



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

ميدان العلوم الإجتماعية

شعبة الفلسفة

مذكرة لنيل شهادة ماستر أكاديمي تخصص تاريخ الفلسفة

بعنوان:

## النقد الإبتيمولوجي للنزعة التاريخانية عند كارل ريموند بوبر

إشراف: د/ أحمد زيغمي

إعداد الطالبة: رندة مراح

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ 2017/05/17 أمام لجنة المناقشة المكونة من:

✓ أ/ عاشور بن قويدر..... رئيسا.

✓ أ/ إبراهيم كراش..... مناقشا.

✓ د/ أحمد زيغمي..... مشرفا.

الموسم الجامعي: 2016/2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## إهداء

أهديه إلى والديّ الكريمين أطال الله عمرهما، وكامل أفراد أسرتي صغيرا، وكبيرا، وإلى معلمي في الصف الابتدائي نور الدين بالواد الذي كان له الفضل الأكبر فيما وصلت إليه.  
كما أهديه إلى الدكتور المشرف أحمد زيغمي، وكل الأساتذة الذين درسوني في مختلف مراحل تعليمي.

إلى رفقاء دربي من داخل الجامعة، وخارجها.



## شكر وتقدير:

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ».

رواه الترمذي وصححه الألباني.

فعلامه شكر المرء هي إعلان حمده، فالشكر أولاً لله عزّ وجلّ لهدايته لي إلى طريق البحث، والإقتداء بأهل العلم، كما أخصّ بالشكر أستاذي المشرف أحمد زيغمي على مجهوداته معي فقد كان حريصاً على قراءة كل ما أكتب ثمّ يوجهني بأبسط عبارة، فله مني وافر الثناء وخالص الدعاء.

كما أشكر جميع عائلتي، والسادة الأساتذة من داخل القسم، وخارجه، وكل من أعانني بمرجع، أو نصيحة أسأل الله أن يجزيهم كل خير.



مقدمة

## مقدمة:

شهد القرن العشرين تحولات، وتطورات جذرية في مختلف مجالات الحياة، إذ يُعَرَفُ بقرن النزعة الشككية، وهو القرن ذاته الذي شهد ميلاد فيلسوف العلم كارل ريموند بوبر Popper Karl (raimund)(1902م – 1994م)\*، فهو من الفلاسفة الذين سجلوا بصماتهم في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر، لما قدّمه للعلم من إسهامات جلييلة، حيث شغل بوبر موقعا متميزا في ظل الثقافة المعاصرة ، وعُدَّ بحق واحدا من أهمّ فلاسفة العقلانية النقدية، فهو لم يتردد أبدا في إعلان وثوقه بقدرة العقل على النقد، والفحص.

يؤكد بوبر باستمرار أهمية النقد لتحرير مستقبل الإنسان، ومستقبل العلم من الخرافات العالقة به، فليس هناك ما هو أخطر على الشعوب، والحضارات من السكون، والركود، والخوف من النقد، والاكتفاء بموقف الإعجاب، والتمجيد.

تتميّز فلسفة بوبر إذن بالنظرة النقدية، فقد قدّم معيارا علميا لحل المشكلات ذات الخلفية الاستيمولوجية، والسياسية، وليس التمييز فقط بين العلم واللاعلم، وعُرِفَ أيضا بموقفه النقدي إزاء

---

(\*) بوبر (Popper Karl raimund) (1902م – 1994م) : كاتب فلسفي نمساوي درس بجامعة فيينا لكنّه لم يستند من دراسته فيها، إهتم بدراسة آشتاين، وماركس، وفرويد، وأدلر، حيث شرع منذ ذلك الحين بصياغة أفكاره حول الفارق بين العلم الحقيقي والعلم الكاذب، وإنسب إلى حلقة فيينا التي أسسها جماعة من مناطقة الوضعية المحدثة، لكّه ما لبث أن إختلف مع منظري الوضعية المنطقية منذ أن نشر كتابه منطق الإكتشاف سنة 1934م، وعزم على نشر كتابه المجتمع المفتوح وأعداؤه سنة 1945م هذا الكتاب أعطاه شهرة واسعة في البلدان الأنجلوساكسونية بإعتباره مفكرا ليبراليا، وإنسانيا، حيث قال راسل في هذا الكتاب أنه دفاع عميق عن الديمقراطية، وبرأي بوبر أنّ أعداء المجتمع المفتوح هم: أفلاطون، وهيغل، وماركس، وله كتاب آخر مهم في نفس سياق كتاب المجتمع المفتوح وهو بؤس التاريخانية 1957م، وقد ترأس الجمعية البريطانية لفلسفة العلوم مابين سنة 1659م، وسنة 1961م، وفي سنة 1963م أصدر كتابه تخمينات ودحوض: نحو المعرفة العلمية، توفي بوبر وهو ليبراليا محافظاً. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (الفلاسفة، المناطقة المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون)، دار الطليعة ، (بيروت، لبنان)، (3ط) 2006م، ص194).

كثير من الأفكار، والنظريات، ومن بين النظريات التي انصبَّ عليها نقد بوبر >> النزعة التاريخية <<، فقد كان بوبر من أشد منتقديها حيث عدّها خطراً يهدد المجتمع، وأنها منهج عقيم لا طائل منه، فقد وجّه انتقادات صريحة، وممتينة لأصحاب التاريخية الذين يدّعون، ويدافعون عن حتمية التاريخ، واطراد قوانينه، وأنه بالإمكان الخروج بنتبؤات في المجال الاجتماعي شبيهة بالتنبؤات الحاصلة في العلوم الطبيعية من حيث الدقّة، والوضوح، إلا أنّ هذا المسعى قد رفضته فئة من المؤرخين، وفلاسفة العلم، وفي مقدمتهم كارل بوبر.

وبهذا المعنى فقد أضحت التاريخية موضوع نقد واسع من طرف كارل بوبر.

أمّا إشكالية هذه الدراسة فهي: ما أبعاد نقد كارل بوبر للتاريخية؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية:

1. ما مفهوم التاريخية عند بوبر، وهل كان نقده لها نقداً إستمولوجياً خالصاً، أم أنّ له بعداً إيديولوجياً أيضاً؟
2. هل يمكن إخضاع التاريخ للدراسة العلمية؟
3. لماذا خصّ بوبر الماركسية في نقده للنزعة التاريخية؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة وضعنا عدداً من الفرضيات التي سوف نعمل على إثباتها

في سبيل معالجة الإشكالية المطروحة:

1. نقدية بوبر للتاريخية تتضمن بعداً إستمولوجياً، وبعداً إيديولوجياً أيضاً.
2. التاريخية تسيء فهم تطبيق المناهج المستخدمة في علم الفيزياء، على العلوم الاجتماعية.

3. التاريخ لا يسير وفقا لقوانين ثابتة تحكمه.

4. التاريخانية وليدة العصر الحديث، لكن جذورها تعود إلى ما هو أقدم.

ولتحليل الفرضيات السابقة اعتمدنا على منهجين أساسيين:

1. المنهج التحليلي النقدي: لتحليل النصوص، وشرحها، والتعليق عليها.

2. المنهج التاريخي: لتتبع تطور أفكار بوبر حول نقد النزعة التاريخانية.

أما الدوافع التي دعتنا للبحث في هذا الموضوع فراجعة إلى:

أ. دوافع موضوعية:

1. ميزة النقد البناء الذي تحمله أفكار بوبر، وحرصه الشديد على ذكر الجوانب الحسنة للفكرة المُنْتَقَدَة.

2. لاحظنا أن معظم الدراسات حول بوبر انصبت على دراسة (نظرية المعرفة، المنهج الاستقرائي)، وتهمل دراسته في الجوانب التاريخية، والإيديولوجية في فلسفته.

ب. دوافع ذاتية:

1- تلبية طموح شخصي لاستلهاام طريقته في التحليل، وتحقيق إرادة الاستفادَة من نقده للوضعِيَة والاستقرائي، والتاريخ، وأردنا لهذا البحث أن يكون مساهمة متواضعة، في إزاحة بعض الغموض عن فلسفة بوبر.

ولتحليل الإشكالية السابقة الذكر قمنا بتقسيم الدراسة إلى ثلاثة فصول رئيسية:

1. الفصل الأول: إشكالية المصطلح في فلسفة بوبر، تطرّقنا في مبحثه الأول إلى بدايات وأصول النزعة التاريخانية، وأدرجنا في خضم هذا المبحث عناوين فرعية ( تاريخ التاريخانية والفرق بين التاريخية، والتاريخانية)، أما المبحث الثاني فقد خصصناه للتعريف بالتاريخانية عند كارل بوبر.



2. الفصل الثاني: التاريخية بين ماركس وبوبر، تناولنا في المبحث الأول التفسير الماركسي للتاريخ والمجتمع، وهذا المبحث بدوره ينقسم إلى عناصر فرعية، أمّا المبحث الثاني فقد كان حول القراءة البوبرية للماركسية، حيث سجل بوبر أهمّ المآخذ على ماركس.
3. الفصل الثالث: نقدية بوبر للتاريخية حيث عرضنا في المبحث الأول منه النظريات التاريخية المضادة للمذهب الطبيعي، وهذا المبحث يندرج تحته جملة من النقاط الأساسية (التعميم والتجربة، والجدة، والمناهج الكميّة، والنزعة الكلية)، أمّا المبحث الثاني كان لعرض النظريات التاريخية الموافقة للمذهب الطبيعي، ويتضمّن هذا المبحث نقاطاً مهمّة (المشاهدة، وطبيعة التنبؤات، والقوانين التاريخية)، أمّا المبحث الثالث أخذناه كحوصلة لنتيجة عرض الأطروحات وإبراز موقف بوبر منها.



- المبحث الأول: بدايات وأصول التاريخانية
- 1. تاريخ التاريخانية
- 2. الفرق بين التاريخية والتاريخانية
- المبحث الثاني: التاريخانية عند كارل بوبر

## المبحث الأول: بدايات التاريخانية وأصولها

إنّ الموقف من التاريخ ظلّ معروفاً عند أغلب الأمم، والشعوب، وإن لم يكن هذا الموقف محلّ تدوين دائم، فلقد كانت مهمة المؤرخين منذ عصر المؤرخ اليوناني هيرودوت (Hérodote) (482ق.م - 420ق.م)<sup>(\*)</sup>، محصورة في وصف حوادث الماضي، وتتبعها تاريخياً ومن هنا نشأت اتجاهات فلسفية محاولة تفسير حركة التاريخ، وتطوره عبر المراحل التاريخية التي مرّ بها الإنسان.

أمّا النزعة التاريخانية (Historicism)<sup>(\*\*)</sup>، فهي نزعة وليدة العصر الحديث، ويُعنى بها

مجموعة أفكار مترابطة، تحولت في وقت متأخر إلى فكرة مسلم بها، دون التشكيك فيها.<sup>(1)</sup>

(\*) **هيرودوت** (Hérodote) (484ق.م - 425ق.م): مؤرخ يوناني إشتهر بكتابه تاريخ هيرودوت حيث يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض الأبيض المتوسط. ( نقلا عن: كارل بوبر، **المجتمع المفتوح وأعداؤه**، تر: السيد نفاذي، دار التنوير، لبنان، (ط1)، 1998م، ص 82.)

(\*\*) **التاريخانية** (Historicism):

أ. ولنا أن نأخذ ثلاث معان:

1. وجهة نظر تلتزم عرض المفاهيم العلمية من حيث تطورها عبر التاريخ، وهي جزء جوهري من المنهج الديالكتيكي.
  2. مذهب يقرّر أنّ القانون من نتاج العقل الجمعي، ولهذا فإنّ العرض التاريخي لازم لدراسة القانون.
  3. وتشير عند كارل بوبر إلى أنّ التنبؤ التاريخي هو الغاية المنشودة، وهذه الغاية ممكنة التحقيق، وذلك بالكشف عن قوانين التطور التاريخي. ( مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء، (القاهرة، مصر)، (د، ط)، 2007م، ص ص 155، 156.)
- ب. ( Historismus ):

1. بنحو خاص يُقال هذا اللفظ على المذهب الذي يرى أنّ الحقوق، شيمة اللغات، والعادات، وهي نتاج جماعي غير واع، وغير إرادي، إبداع ينتهي في لحظة إنصباب الفكر عليه؛ ولا يمكن لاحقا تبديله صراحة، ولا فهمه وتأويله بطريقة أخرى غير طريقة دراسته التاريخية. ( أندري لالاند **موسوعة لالاند الفلسفية**، تع: أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، (بيروت، باريس)، (ط2) 2001م، ج2، ص 561.)

(1) كارل بوبر، مصدر سابق، ص 17.

## 1. تاريخ التاريخانية:

من خلال تتبع الباحث للمسار التاريخي للنزعة التاريخانية، سيلاحظ أنّ للتاريخانية بذوراً أولى قبل العصر الحديث.

فهناك من يرجح أنّ التاريخانية برزت ملامحها مع أفلاطون (Platon) (427/428 ق.م 347 ق.م) (\*) فعلى الأغلب أن أفلاطون قد أخذ معالم نظريته التاريخية من مذهبه الفلسفي المثالي، القائم على التقابل بين عالمين مختلفين وهما: العالم المنظور، والعالم غير المنظور حيث أن العالم المنظور ماهو إلا نسخة عن العالم غير المنظور، وهذا الأخير بنظر أفلاطون هو العالم الحقيقي، غير أنّ التاريخانية التي جاء بها أفلاطون بنظر بوبر ما هي إلا نزعة صوفية. (1)

وهناك من المؤرخين من يدّعي أنّ كلمة التاريخانية هي من إبداع اللغوي السويسري أدولف كارل فرنر (Werner Karl) (1846م - 1896م)، وذلك لما حاول أن يقدم تعريفاً واضحاً لفلسفة فيكو (Vico , Giambattista) (1667م - 1744م) (1744م - 1803م) (\*\*\*) سنة 1789م. (2)

(1) كارل بوبر، مصدر سابق، ص 90.

(\*) أفلاطون (Platon) (427/428 ق.م - 347 ق.م): فيلسوف مثالي يوناني، وتلميذ سقراط، وهو مؤسس المثالية الموضوعية له أكثر من ثلاثين محاور، من بينها السوفسطائي، بارمنيدس. ( روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة (بيروت، لبنان)، (د، ط)، (د، س)، ص 40.)

(2) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز العربي للثقافة، (الدار البيضاء، المغرب)، (ط4)، 2005م، ص 347.

(\*\*) فيكو جيان باتيستا (Vico , Giambattista) (1667م - 1744م): فيلسوف إيطالي ولد في نابولي، يميّز مؤلفه "مبادئ فلسفة التاريخ" ثلاثة أطوار في تاريخ كلّ شعب: الطور الإلهي، الطور البطولي، الطور الإنساني. ( ماكس هوركهايمر، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، تر: محمد علي اليوسفي، دار الفرابي، (بيروت، لبنان)، (د، ط)، 2006م، ص 78.)

وفي موقف آخر نجد من يربطها بهردر (Herder, Johann Gottfried) (1744م) وفي 1803م<sup>(\*)</sup>، فقد كان له دور فعّال في فلسفة التاريخ، ويظهر هذا الدور في رفضه لبعض الآراء السائدة في عصر الأنوار، التي تفترض وجود قوانين ثابتة لا تتغير، وهذه القوانين صالحة لجميع الأزمنة، وهنا برز اعتراضه على هذه الفكرة القائلة بثبات القوانين، فهو يراها أفكارا خاطئة تثير الريبة، وفي مقابل ذلك نجده يدافع عن فكرة التطور الإنساني، التي لم تكن إلا مدرسة تدعو إلى الرجوع إلى الماضي، لكن بدخول القرن الثامن عشر عرفت هذه المدرسة تحولات جديدة في اهتماماتها، فبعدما كانت تهتم بالماضي فقط صارت تركز أيضا على المستقبل.<sup>(1)</sup>

ونجد ميكيافيللي<sup>(\*\*)</sup> هو الآخر يؤكد أنّ الماضي ينير المستقبل، فعلى التاريخي العودة دائما إلى أحداث الماضي، ويؤكد أيضا أنّ المدن، والشعوب قد نشأت بالأهواء، والرغبات نفسها وأنّ كل ما حدث في الماضي، سيحدث في المستقبل، ففي نظر ميكيافلي أن دراسة الماضي تسمح لنا بتبصّر المستقبل.<sup>(2)</sup>

(1) محمد مجدي الجزيري، نقد التتوير عند هيردر، دار الحضارة، (طنطا، المغرب)، (د، ط)، 1999م، ص ص 27، 28.  
(\*) هردر يوهان جوتفريد (Herder, Johann Gottfried) (1744م - 1803م): شاعر ألماني يحتل مكانة مرموقة في تاريخ الأدب الألماني، درس الفلسفة، واللاهوت، والطب، وأولى كتاباته: شذرات حول الأدب الألماني الحديث، يوميات رحلتي لعام 1769م، أفكار حول فلسفة تاريخ البشرية (1789م-1791م) وعرف بنظريته الجديدة للتاريخ. ( جورج طرابيشي، مرجع سابق ص ص 699، 700.)

(2) ماكس هوركهايمر، مرجع سابق، ص 15.

(\*\*) ميكيافيللي (Niccola, Machiaveilli) (1469م - 1578م): مؤرخ إيطالي، ومنظر سياسي، إهتم بالسياسة عمليا، ونظريا في كيفية الحصول على السلطة، شغل عدّة مناصب مهمّة منها كاتبًا و مستشارًا للحكومة الإيطالية، من أهم أعماله: كتاب الأمير. ( عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات، (بيروت، لبنان) (ط1)، 1984م، ج2، ص ص 463، 464.)

حتى المؤرخ الألماني فريدريش مينكة (Friedrich Meinecke) (1862م - 1954م) قد كتب مؤلفاً تكلم فيه عن النزعة التاريخانية التي تعني عنده: >> الشعور بأنّ الحوادث البشرية فريدة ومتطورة <<، فمينكه يعدّ الفكرة التي جاء بها فيكو، قد غيرت مجرى التفكير البشري. (1)

وحسب التقاليد الفلسفية فإنّ مصطلح التاريخانية يرجع إلى مدارس الفكر، التي ركزت على الوحدة التاريخية، وتكافؤ الثقافات، ولهذا فالتاريخانية تشير بدرجة عالية إلى التعددية (Pluralisme) (\*)، والنسبية (Relativisme) (\*\*). (2)

فالتعدد هو الشرط الأساسي حتى تظهر حقيقة موضوعية وحيدة، وذلك يعني أنّ الحقيقة الموضوعية الوحيدة هي محلّ ارتكاز العقلانية. (3)

(1) عبد الله العروي، مرجع سابق، ص 347.

(2) Herbert Marcuse, Studies In Critical Philosophy, Translated By Joris de Bres Boston p197.

(\*) التعددية (Pluralisme): هي النزعة التي ترمي إلى تفسير الوجود، والمعرفة، والسلوك في ضوء مبادئ متعددة، وتقابل الواحدية (Monisme)، والثنائية (Dualisme)، ويمكن القول أنّ التعددية موضوعاتها مختلفة (القيم، الحقائق، المعاني... إلخ) والتعدد هو تعدد الشيء صار ذا عدد. (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، لبنان)، (د، ط)، 1982، ج1، ص302.)

(\*\*) النسبية (Relativismus, Relativism, Relativismo): نسبية، نسبية، وهي مذهب يرى أنّ كل معرفة (أو معرفة بشرية) نسبية. (أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج3، ص1202.)

(3) Patrick Blanchenay, Les Sciences Sociales dans la philosophie de Karl Popper: la cohérence du système poppérien, institut d'études politiques(IEP) paris, direction Gil Delannoi, 2005, p47, (mémoire de maitrise publié).

ويمكن القول أنّ التاريخانية لم تهيمن على حقل العلوم الإجتماعية إلاّ خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بصورة أخصّ، إذ إقترن ظهورها بعدّة أسماء، ومن بينها ميل ( Mill, John Stuart) (1806م - 1873م) (\*)، وسبنسر (Sepencer Herbert) (1820م - 1903م) (\*\*). وارتبطت أيضا ببعض الحركات الفلسفية، والإجتماعية مثل نشوئية مورغان (Morgan, Lewis Henry) (1819م - 1881م) (\*\*\*) والداروينية (Darwinisme) (\*\*\*\*). (1)

(1) ريمون بودون، فرنسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: سليم حدّاد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ط1) (1406هـ - 1986م)، ص131.

(\*) مل (Mill, John Stuart) (1806م - 1873م): فيلسوف، وعالم اقتصادي إنجليزي، ولد بلندن وقد أشرف والده جيمس على تربيته، من أهم أعماله الأولى: مذهب المنطق 1843م، في النفعية 1863م، فلسفة وليم هاملتون 1865م، أوغست كونت والوضعية 1865م. ( جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص638).

(\*\*) سبنسر (Sepencer Herbert) (1820م - 1903م): فيلسوف إنجليزي عاش رافضا لكل الألقاب الفخرية، والمناصب والتسميات التي تنافس عليها الفلاسفة، أولى مؤلفاته كانت عبارة عن رسائل: رسائل حول دائرة الحكم الخاصة 1842م، وله مجموعة من الكتب من بينها: المبادئ الأولى 1860م، مبادئ البيولوجيا، مبادئ علم الاجتماع 1877م. ( المرجع نفسه، ص356،357).

(\*\*\*) مورغان (Morgan, Lewis Henry) (1819م - 1881م): عالم أمريكي من علماء الأجناس، والآثار، حاول تفسير المجتمع على أساس ظهور الطبقات، وربطها بتطور وسائل الإنتاج الفنية، وكان من الأوائل الذين أثبتوا أنّ العائلة ما هي إلاّ ظاهرة تاريخية وقد أشاد به ماركس، وأنجلز إشادة خاصة، أهم مؤلفاته: كتاب أصل العائلة، والملكية، والدولة، وكتاب المجتمع القديم 1877م. ( روزنتال يودين، مرجع سابق، ص509).

(\*\*\*\*) الداروينية (Darwinisme): هي النظرية البيولوجية لداروين (Charles, Robert Darwin) (1809م - 1882م)، وهي نظرية تحويلية يؤدي الانتقاء الطبيعي دوراً هاماً فيها، وقد ارتبطت بعلم الاجتماع؛ فبحسب هذه النظرية لا يفسر الانتقاء الطبيعي التطور البيولوجي فحسب، بل يفسر أيضا تطورات، وتغيرات التجمعات البشرية. ( مصطفى حسبية، المعجم الفلسفي، دار أسامة (عمان الأردن)، (ط1)، 2009م، ص218).

## 1. الفرق بين التاريخية والتاريخانية

يجيب البعض على السؤال السابق بالقول أنّ التاريخية شيء، والتاريخانية شيء آخر فالتاريخية هي طريقة، وأسلوب للبحث، في حين أنّ التاريخانية تقرر حتمية التطور، وتألُّه التاريخ وتدعو للرضوخ، والانقياد له.<sup>(1)</sup>

فكلمة التاريخية ظهرت للمرّة الأولى في مجلة نقد (Critique)، وذلك سنة 1872م، وهذا حسب قاموس لاروس، إذ تُعرّف هنا التاريخية على أنّها تلك المقدرة التي يتمتع بها كل مجتمع في إنتاج حقله الاجتماعي، والثقافي المخصوص بما يتوافق وتاريخه المحلي.<sup>(2)</sup>

فالتاريخية تنصُّ على أنّ البعد الاجتماعي للظواهر في حالة تطور مستمر، وتغير دائم وهذا ما ركّز عليه لالاند في تعريفه لمصطلح التاريخية (Historisme) >> وجهة نظر تقوم على فهم موضوع معرفي ما على أنّه نتيجة حاليّة لتطور يمكن تتبعه في الماضي.<<<sup>(3)</sup>

وعليه فالتاريخية هي القول بأنّ لوقائع التجربة الحية زمانا خاصا، وأنّها تتسم بشيء من المرونة، والطلاقة، وقد قال بها الوجوديون معارضين بها النظرية التي تقول أنّ التاريخ تحكمه قوانين ثابتة.<sup>(4)</sup>

(1) عبد الله العروي، مرجع سابق، ص348.

(2) محمد أركون، الفكر الإسلامي (قراءة علمية)، تر: هاشم صالح، (مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي)، (بيروت الدار البيضاء)، (ط2)، 1996م، ص116.

(3) أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج2، ص561.

(4) إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، (د، ط)، (1403هـ - 1983م)، ص36.



أما التاريخية فهي من المصطلحات التي تثير جدلاً لا ينتهي إلى الحدّ الذي يمكن أن تصبح مصطلحاً يصعب استخدامه، فمعظم التعريفات التي أُعطيت للتاريخية تصبُّ في الجانب الإيديولوجي، ويمكن التمييز بين مصطلحي التاريخية، والتاريخانية، فالتاريخية، والتاريخانية تختلفان لغوياً أي؛ أنّ اللاحقة ité من مصطلح (l'historicité) تدل على كل ماله خاصية الحقيقة الجوهرية (المادية) في حين أنّ اللاحقة isme من مصطلح (l'historicisme) تأخذنا لا محالة إلى النظام الذي بناه العقل.<sup>(1)</sup>

(1) محمد أركون، مرجع سابق، ص 117.

### المبحث الثاني: التاريخانية عند كارل بوبر

تجدر الإشارة إلى أن بوبر حاول أن يستعمل لفظا غير مألوف، متجنباً الوقوع في الصراعات اللفظية، واللفظ الذي إستخدمه هو (Historicism).

يقول كارل بوبر في "بؤس الايديولوجيا": >> ... تعمدت اختيار لفظ غير مألوف (Historicism) للدلالة على المذهب الذي أقصده. ولعلي بهذا أتجنب المماحكات اللفظية البحتة إذا أمل ألا ينزلق أحدٌ إلى التساؤل فيما إذا كانت الحجج التي أناقشها هنا تنتسب إلى المذهب التاريخي حقيقة أو جوازاً، أو وجوباً، أو التساؤل فيما تعنيه كلمة (التاريخانية) حقيقة، أو جوازاً أو وجوباً. << (1)

ومن الملاحظ أن بوبر حاول استعمال لفظ خاص به، متجنباً الوقوع في دائرة التشابهات بين الألفاظ.

ويقدم كارل بوبر تعريفاً للتاريخانية من خلال كتابه الرئيس "بؤس الايديولوجيا" فيعرّف التاريخانية (Historicism) أنها طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية، وأن التنبؤ التاريخي هو غايتها المنشودة، كما يفترض بوبر أن هذه النزعة تزعم إمكانية التوصل إلى هذه الغاية، وذلك بالكشف عن القوانين التي يسير التطور التاريخي وفقاً لها. (2)

(1) كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، تر: عبد الحميد صبرة، دار الساقى، (بيروت، لبنان)، (ط1)، 1992م، ص 13.

(2) المصدر نفسه، ص 13.

وقد أشار هربرت ماركيز (Herbert Marcuse) (1898م - 1979م) (\*) في كتابه "Studies in Critical Philosophy" إلى أنّ المعنى الذي أعطاه بوبر لمصطلح التاريخانية معنى غير عادي، ولافت للنظر، حيث لم يسبقه أحد في ذلك ويواصل ماركيز بالقول أنّ بوبر لم يتّردّ أبداً في تبيان موقفه من التاريخانية، وأنّ تحليل بوبر للشمولية (\*\*\*) هو جزء من نقده اللامتناهي للتاريخانية. (1)

فنقد بوبر للتاريخانية هو تحليل لليبرالية (\*\*\*) ضد الشمولية، فإنّ الليبرالية، والشمولية يظهران كنظامين متضادين، من الناحية السياسية، والاقتصادية، والفلسفية، لكن السؤال هو: هل هذه الصورة توضح العلاقة بين الليبرالية، والشمولية؟ إنّه سؤال جوهري للنقد الفعّال للفلسفات المناهضة لليبرالية. (2)

(1) Herbert Marcuse, Op. Cit, p197.

(\*) ماركيز (Herbert Marcuse) (1898م - 1979م): فيلسوف ألماني ولد ببرلين، تتلمذ على يد كل من هوسرل، وهايدجر وهذا الأخير أشرف على رسالته في الدكتوراه التي كانت بعنوان: أنطولوجيا هيغل، ونظرية التأريخية، إشتراك مع ماكس هوركهايمر في تأسيس معهد البث الاجتماعي، من أهم كتبه: كتاب الإيروس والمدنية. ( عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص441، 442).  
 (\*\*\*) الشمولية: (Totalitarisme): أو تسمى الديكتاتورية المطلقة، وهي نظام سياسي ارتبط بالستالينية، والفاشية، والنازية. ( نقلًا عن: كارل بوبر، درس القرن العشرين، تر: الزواوي بغورة، ولخضر مذبح، الدار العربية للعلوم، الجزائر، (ط1)، (1429هـ 2008م)، ص75).

(2) Herbert Marcuse, Op. Cit, p204.

(\*\*\*) الليبرالية (Libéralisme): نظرية سياسية ترقى إلى مستوى الإيديولوجيا؛ إذ تزعم أنّ الحرية أساس التقدم، فتعارض السلطة المطلقة سواء كانت دنيوية أو دينية. ( مراد وهبة، مرجع سابق، ص539).

فبوبر قد إستخدم مصطلح "Historicism" بمعنى متطور، ولكن في وقت سابق تم إجراء بحث في ألمانيا لتقديم مصطلح "Historism" للإشارة إلى فكرة أنّ المواضيع التاريخية يتم استيعابها بشكل أفضل، إذا استخدمت مصطلحاتها الأصلية بدلا من استخدام مصطلحات خارجية حديثة، إلا أن المصطلح عموما يشير إلى البحث عن القوانين المتنامية، والاعتقاد بأن وراء الشؤون البشرية هناك قوانين كامنة، إذا فهمت، يُسلط الضوء على المستقبل، وبذلك نصل إلى ما يسمى بالتوقعات المستقبلية.(1)

وفي كتابه "أسطورة الإطار" يوضح بوبر سبب إختياره لهذا اللفظ (Historicism)، يقول في هذا الصدد: >> لقد أطلقت اسم النزعة التاريخية *Historicism* على النظرية التي تقول بوجود خطة للتاريخ، سواء أكانت إيمانية أم إحادية<<، ويشير بوبر إلى أنه أطلق هذه التسمية على الذين يدعون بأن التاريخ في سيره خاضع لخطة معينة، ويشير أيضا إلى أنّ أولى الإجابات الإيمانية، كانت إجابة الإنجيل، وأشعار هوميروس (حوالي 850 ق.م بحسب هيرودوت)، لكن هذه الخطة لا يمكن إدراكها إدراكا مباشرا إلا بشكل خفي، لأنها ناتجة عن إرادة الله.(2)

(1) Patrick J. Murphy, Entrepreneurship theory and the poverty of historicism Journal of Management History, Paul University, Chicago, Illinois, USA, No. 2, 2009 Vol. 15, p114.

(2) كارل بوبر، أسطورة الإطار ( في دفاع عن العلم والعقلانية)، تر: يمنى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، ط)، (1424هـ - 2001م). ص160، 161.

(\*) هوميروس (حوالي 850 ق.م بحسب هيرودوت): شاعر إغريقي مشهور، وصاحب الإلياذة، والأوديسا. ( نقلا عن: كارل بوبر درس القرن العشرين، مرجع سابق، ص81).

إذ أنّ كارل بوبر يبحث عن نقطة جوهرية بين التاريخانية، وفلسفات المجتمع المغلق، حتى يظهر احتمال التعرف على الاثنين (التاريخانية، المجتمع المغلق)، فالتاريخانية ولدت ردّة فعل على النقد التقليدي؛ كرد فعل المجتمع المفتوح " صدمة الولادة "، فبدون شك أنّ بوبر قد اكتشف أنّ العالم يتغير، فهو قابل للتغيير، وليس ثابتاً. (1)

إذن فحدس (intuition) (\*) بوبر أوصله إلى القول أنّ التاريخانية هي جواب على القلق الذي خلقه أو صنعه " اكتشاف مفهوم، واحتمال التغير"، إذ أنّ بوبر يرى هذه التغيرات، والواقع يثبت هذه التغيرات، بما في ذلك التغيرات الحاصلة في المجال الاجتماعي. (2)

حيث شكّ بوبر في أنّ هذا القلق كان عنصراً مهماً في فلسفة هراقليطس (\*\*)، وأنّ هذا العنصر قد أثر في فلسفة أفلاطون، إذ قدّم بوبر في كتابه " المجتمع المفتوح وأعداؤه" نقداً متيناً لأفلاطون. (3)

(1) Patrick Blanchenay, Les Sciences Sociales dans la philosophie de Karl Popper: la cohérence du système poppérien, Op, Cit, p33.34.

(2) Ibid. p34.

(\*) الحدس (intuition): معرفة حقيقية بينة، مهما تكن طبيعتها تُستعمل كمبدأ للاستدلال النظري، وتدور حول الأشياء، وحول علاقاتها أيضاً، وهو نظرة مباشرة، وفورية لموضوع فكري مائل الآن أمام الفكر، ومُذرك في واقعه الفردي. ( أندري لالاند موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج2، ص ص701،702).

(3) Patrick Blanchenay, Les Sciences Sociales dans la philosophie de Karl Popper: la cohérence du système poppérien, Op, Cit, p34.

(\*\*) هراقليطس (Heraclitus): فيلسوف يوناني قبل سقراط، من أسرة ملكية، لكن لا يُعرف عن حياته الكثير، ومن الصعب تحديد تاريخ حياته بدقة، قال بتغير العالم، كان يلقب بالفيلسوف الباكي، وكان يكره الأراء التي تقول بالمساواة. ( عبد الرحمن بدوي مرجع سابق، ص534).



## الفصل الثاني: التاريخانية بين ماركس وبوبر

- المبحث الأول: التفسير الماركسي للتاريخ والمجتمع
- 1. التفسير المادي للتاريخ
- 2. تفسير المجتمع وصراعاته
- المبحث الثاني: القراءة البوبرية لماركس

## المبحث الأول: التفسير الماركسي للتاريخ والمجتمع

عرفت دراسة التاريخ، والمجتمع تطورات متسارعة في نهاية القرن التاسع عشر في أوروبا وقد كانت الماركسية أهم فلسفة جعلت المجتمع، والتاريخ في صميم دراساتها الفلسفية، ورأت أن المجتمع كما التاريخ ينبغي دراستهما دراسة علمية.

### 1. التفسير المادي للتاريخ:

التفسير الماركسي للتاريخ يفضي بنا إلى الكلام عن المادية التاريخية (Matérialisme Historisme) (\*) عنده فماركس (Marx Karl) (1818م - 1883م) (\*\*). قام بوضع المادية (Matérialisme) (\*\*\*) محل المثالية (Idéalisme) (\*\*\*\*)؛ وأحلّ العلم محل الخرافة، فكانت دراسته للتاريخ جزءًا من الدراسة العلمية للعالم الحيّ، من أجل فهم التاريخ فهمًا صحيحًا. (1)

(1) كريس هرمان، كيف تعمل الماركسية؟ تر: وحدة الترجمة، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، (ط1)، 2003، ص 11.  
 (\*) المادية التاريخية (Matérialisme Historisme): تقوم على قلب روابط السببية، وعلى هذا القلب أنشأ أصحابها علما تاريخيا يفسّر التاريخ على أساس العوامل المادية وحدها، وتزعم المادية أنها الكفيلة بوضع نظرية في المجتمع، وتطوره، وترتكز على عملية الإنتاج. (مصطفى حسيبة، مرجع سابق، ص ص553، 554).

(\*\*) ماركس كارل (Marx Karl) (1818م - 1883م): فيلسوف إقتصادي ألماني حاز على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1841م أهم مؤلفاته: نقد فلسفة هيغل في الدولة 1844م، الأسرة المقدسة 1845م، العمل المأجور والرأسمال 1849م. (جورج طرابيشي مرجع سابق، ص ص618، 620، 622).

(\*\*\*) المادية (Matérialisme): مصطلح شائع، لكن هذا المصطلح يتخلله نوع من الالتباس، ولاسيما مع الصفة (مادية Matérielle)، ومع الحالة المادية للشيء (Matérialité)، ولتجنب الالتباس نستعمل مادية فقط. (أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج2، ص766).

(\*\*\*\*) المثالية (Idéalisme): نزعة فلسفية تقوم على ردّ كل الوجود إلى الفكر بالمعنى الأوسع لكلمة فكر، هكذا تتعارض المثالية مع الواقعية، الكينونة {الإنية: الأنطولوجيا}، التي تسلم بوجود مستقل للفكر. (المرجع نفسه، ص585).

فالتفسير المادي للتاريخ، يسمح للإنسان بتمييز نفسه عن باقي الكائنات الأخرى؛ وذلك التميّز يتمثل في الوعي، الدين، أو أي شيء آخر يؤدي وظيفتهما، وحسب ماركس فإنّ الإنسان يبدأ في تمييز نفسه بدءاً من اللحظة التي يفكر في إنتاج وسائل عيشه، ومأكله، وملبسه، ومسكنه فالبشر على مر الزمان وهم في تطور ملحوظ، وليسوا في حالة جمود، وركود<sup>(1)</sup>.

ونلاحظ أنّ ماركس قد اعتمد في بناء نظريته التاريخية على المادية الجدلية (Matérialisme Dialectique)<sup>(\*)</sup>، التي مفادها أنّ التاريخ الإنساني، هو تاريخ صراعات بين فئات المجتمع، وأنّ علاقات الإنتاج وحدها هي القادرة على تفسير جميع العلاقات الأخرى القائمة بين تلك الفئات، وهذه العلاقات الإنتاجية تتحدد عن طريق القوى المنتجة، فسّر فهم التاريخ هو فهم التغيّر في العلاقات الاجتماعية، وفهم كيفية إنتاج البشر لطعامهم ومسكنهم.

فالإنسان يحتاج المأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، وغيرها من هذه الحاجات، ولكي يستطيع الحصول عليها؛ فهو بحاجة لآلات تساعد في إنتاجها وليس الآلات فحسب، بل يحتاج لأناس يعرفون كيفية استخدام تلك الآلات، شرط زيادة الإنتاج، فزيادة تراكم الإنتاج، مشروطة بتطور وسائل الإنتاج<sup>(2)</sup>.

(1) كريس هرمان، مرجع سابق، ص 14.

(\*) المادية الجدلية (Matérialisme Dialectique): وهي مذهب (ماركس، أنجلز)، حيث تدخل على المادة حركة جديدة تجمع بين المتغيرات الكمية، والمتغيرات الكيفية، وتؤدي في نهايتها إلى قيام حياة روحية مستقلة عن الظواهر المادية، وإن كانت في بدايتها ناشئة عن المادة. (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ج 2، ص 309).

(2) جورج بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية (المادة التاريخية)، تع: شعبان بركات، المكتبة العصرية (صيدا، بيروت)، (د، ط)، (د، س)، ج 2، ص 8.



وعليه فالإنتاج حركة تعمل على ترويض الطبيعة، وهذه الحركة يؤديها البشر في الأساس فالبشر هم العنصر المحرك في قوى الإنتاج، إذ يحاولون الاستفادة مما تقدّمه الطبيعة، والتكيف معها في ذات الوقت، إذ هي عملية تهدف إلى تحقيق الإشباع أولاً، ثم لا تلبث أن تخلق الفائض في الإنتاج، وهذا ما أدى إلى وجوب تبادل المنتوجات بين الزارع، والعامل اليدوي.<sup>(1)</sup>

ومتى حقق الإنسان الفائض، فهو سيعمل على تنميته، ومراكمته، وهنا يظهر مصطلح جديد يستعمله ماركس، وهو << فائض القيمة >>؛ يرتفع حجم هذه القيمة كلما ارتفعت معه قوة العمل فحجم القيمة الفائضة المنتجة يعادل فائض القيمة التي يقدمها عامل واحد، مضاعفة بحسب عدد العمال المستخدمين بالإجمال.<sup>(2)</sup>

ففائض القيمة في الإنتاج، له دور أساسي، فهو قيمة يمكن التعويل عليها في سدّ الثغرات والنقائص، وذلك في حالة حصول أيّة اضطرابات في العمل، على سبيل المثال نقص في رأسمال أو غياب أحد العمال، فتلك القيمة الفائضة المنتجة سابقاً تُغطي هذا النقص، وبهذه العملية يمكن التعويض عن النقص الحاصل.<sup>(3)</sup>

(1) جورج بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، مرجع سابق، ج2، ص9.

(2) كارل ماركس، رأس المال (نقد الإقتصاد السياسي)، تر: فهد كم نقش، (دار التقدم، موسكو)، (د، ط)، 1985م، ج1، ص 439.

(3) المصدر نفسه، ص440.

فالأسمالي حينما يتبع أساليب الإنتاج المحسن، سيحقق حتماً فائضاً في القيمة، ولكن من جهة أخرى فإن تلك القيمة الفائضة تتلاشى، وتضمحلُ كلما انتشر أسلوب جديد في الإنتاج فيعمل على بيع منتوجاته دون قيمتها الحقيقية، وفي نفس الوقت يُجبر على تغيير طريقته في الإنتاج. (1)

ومن الواضح أنّ التجديد، والتطوير في طريقة الإنتاج يُعدُّ بمثابة المفتاح الذي من خلاله نستطيع تفسير تغير المجتمعات على مر التاريخ، فكلما كان الإنتاج متجهاً إلى الأمام حققنا التقدم، والتطور، والرفاهية في نظر الفلسفة الماركسية.

فالإنتاج على مرّ التاريخ امتاز بخاصية التطور، والتحول فمتى تمّ تغير طريقة الإنتاج أدى هذا إلى التغير الاجتماعي، فبحسب ماركس أنّ التغيير في طريقة الإنتاج تسمح لنا بتفسير تغير الأنظمة، والتغير الاجتماعي، وبهذا سننتهي إلى الكلام عن المجتمع الطبقي. (2)

## 2. تفسير ماركس للمجتمع وصراعاته:

إنّ الصراع الطبقي يأخذُ أكبر اهتمامات ماركس، إذ يجعل من الطبقة المُنتجة هي الطبقة المسيطرة، وتمثل الطبقة الفكرية، وإذا كانت الطبقة المسيطرة تتحكم في وسائل الإنتاج المادي فإنها بالضرورة ستتحكم في وسائل الإنتاج الفكري، فالإنتاج المادي هو أساس التاريخ. (3)

(1) كارل ماركس، مرجع سابق، ص 461.

(2) جورج بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، مرجع سابق، ج 2، ص 17.

(3) كارل ماركس، فريديريك أنجلز، الإيدولوجية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، دمشق، (ط1)، 1976م، ص 56.

ومن ثمة يتضح أن الطبقة المسيطرة، هي القادرة على صنع تاريخها، وتوسيعه، على أساس أنها طبقة مفكرة، وبما أنها كائنات مفكرة، فإنها منتجة للأفكار، وبذلك تصبح أفكارها هي الأفكار السائدة، وعلى الأغلب أنّ تلك الطبقة المقصودة، هي الطبقة البرجوازية.<sup>(1)</sup>

لكن التساؤلات التي تتبادر إلى أذهاننا هي كالاتي:

- إذا كانت الطبقة البرجوازية هي الطبقة الحاكمة، فكيف تم التأسيس لها؟
- ماهي العوامل المساعدة في خلق مجتمعٍ برجوازي؟
- ما دور البرجوازية في العملية الإنتاجية؟

يمكن القول أنّ الإجابة عن جميع التساؤلات السابقة، مرتبطة بمفهوم أساسي، هو الإيديولوجيا، ولمعرفة دور الإيديولوجيا في صنع المجتمع البرجوازي وصراعاته، علينا أن نفهم أولاً العلاقة بين البرجوازية، والإيديولوجيا على ضوء فلسفة التاريخ الهوبزية، إذ أنّ الإيديولوجيا تساهم بحسبه في نشر الزيف، والوهم بين البشر، لتغطية الفساد والفوضى وتحقيق مصالح ورغبات طبقة النبلاء، والوصول إلى السيطرة، والحكم، فالإيديولوجيا قد شكلت إحدى العوامل الأساسية للهيمنة على مجرى التاريخ، ونلاحظ أنها قد ارتبطت بمفكري عصر الأنوار، إذ عدّوها بمثابة قانون طبيعي، لا يمكن تجاوزه.<sup>(2)</sup>

(1) هوركهايمر، مرجع سابق، ص 56.

(2) المرجع نفسه، ص 56.

إنّ هذه الإيديولوجيا لا يمكن أن تُلعَى إلاّ ضمن الصيرورة(\*) التاريخية، لكن مجتمع العصور الوسطى هو أول من استخدم الإيديولوجيا، من خلال الدور الذي جسده الكنيسة في توسيع هيمنتها وتوثيق نفوذها، مستعملة وسائل إيديولوجية في توجيه الناس، ونشر الوعي الزائف وهذا الوعي لن يزول إلاّ بالعلم الحقيقي، ورفض النظريات المشكوك في أمرها.(1)

ومما يمكن للباحث ملاحظته عقب قراءة إحدى النصوص الأصلية لماركس هو ارتباط فلسفة ماركس ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الإيديولوجيا ، فكلام ماركس عن الصراع الطبقي هو كلام عن الصراع الإيديولوجي بين فئات المجتمع.

إلاّ أنّ الطبقة البرجوازية لم تعد قادرة على دفع الإنتاج إلى الأمام، أو تتميّة قوى جديدة للإنتاج ، ونحن حينما نتحدّث عن الطبقة الأقوى، نفهم من هذا أنّها الطبقة التي تستطيع أن تحقيق التقدّم، كما تستطيع خلق علاقات إنتاجية جديدة، إلاّ أن هذا لم يعد بمقدور البرجوازية، وهو ما يعني فقدان سيطرتها السياسيّة، والاقتصاديّة.(2)

(1) هوركهايمر، مرجع سابق، ص60.

(\*) الصيرورة (Devenir): بمعنى التبدل من حيث هو تبدّل؛ بصفته إنتقالاً من صورة إلى صورة أخرى، ومن حالٍ إلى حالٍ. (أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج1، ص271).

(2) جورج بوليتزر ، جي بيس ، موريس كافين، مرجع سابق، ج2، ص142.

واعتمادا على تحليل ماركس لفئات المجتمع الأخرى انتهى إلى القول بأن هناك طبقة أخرى قادرة على تغيير واقع النظام الاجتماعي الألماني، وتحريره من كل شرور الطبقة البرجوازية التي شكلت إحدى القوى المهيمنة، والمسيطرة على باقي الطبقات.(1)

فالمجتمع يتكون من طبقة مسيطرة، وطبقة مُستغلة، وهذه الأخيرة تريد تحطيم قيد الاستغلال، إذ أنّ الطبقة المستغلة تحتاج إلى الكذب لدوام الاستبداد، بينما الطبقة المقهورة تحتاج إلى الحقيقة للقضاء على الاستغلال، وبهذا المعنى فإنّ فلسفة ماركس هي فلسفة الطبقة الثائرة فلسفة الطبقة التي تقوم مصلحتها على فهم المجتمع للتخلص من الاستغلال.(2)

وبنظر ماركس فإنّ الطبقة التي تملك الوعي، والتي يمكن أن تتصدى للطبقة البرجوازية هي طبقة البروليتاريا (Prolétariat)(\*)، فهذه الطبقة حينما تدرك، وتعي دورها في المجتمع فسوف تسعى إلى القيام بحركة تحررية مطالبة بحقوقها، وإزالة شرور المجتمع البرجوازي التي كانت متجسدة فيها، لأن الوعي الذي وصلت إليه قد جعلها تدرك بأنها أكبر طبقة محرومة من الملكية وأنها أكبر طبقة مستغلة من طرف البرجوازية، وهذا ما أقرّه ماركس في عام 1844م.(3)

(1) ريزانوف، محاضرات في تاريخ الماركسية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، (د،ط)، (د،س)، ص30.

(2) جورج بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، مرجع سابق، ج1، ص16.

(3) ريزانوف، مرجع سابق، ص30.

(\*) البروليتاريا (Prolétariat): تقوم بعد تدمير النظام الرأسمالي، وهي المضمون الحقيقي للثورة الاشتراكية في رأي الماركسية وتستخدم البروليتاريا سلطانها عندئذ، بعد مقاومة المستغلين وإحباط أية محاولة رجعية في بناء الدولة الاشتراكية، دكتاتورية البروليتاريا ليست غاية في ذاتها، وإنما هي الوسيلة الممكنة للانتقال إلى مجتمع بلا طبقات. (مراد وهبة، مرجع سابق، ص141،142).

ولهذا يمكن وصف فلسفة ماركس بالثورية، فهي فلسفة العمال، وفلسفة الطبقة الثورية

حيث يقوم دورها التاريخي على فهم البرجوازية، والقضاء على رأس المال، وبناء المجتمع.<sup>(1)</sup>

---

(1) جورج بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، مرجع سابق، ج1، ص15.

## المبحث الثاني: القراءة البوبرية لماركس (الماخذ التي سجلها بوبر على ماركس)

بالرغم من انتقادات بوبر لماركس، إلا أن بوبر يُشيد بعظمة هذا الرجل، وانفتاحه على العلم، والفلسفة، ومحاولته تغيير العالم، إلا أن هذا لم يمنع بوبر من نقده، ورفضه لبعض الأفكار والنظريات التي جاء بها ماركس، فلم يترك صغيرة، ولا كبيرة إلا وقام بفحصها.

إذ أن بوبر يوجّه اتهاماً قاسياً لماركس، إذ يجعله المتسبب في تضليل العقول النيرة وجعلها تعتقد أنّ دراسة المشاكل الاجتماعية لا يكون إلاً وفقاً للنبوءة<sup>(\*)</sup> التاريخية، وأنّ التاريخ يسير وفقاً للحتمية (Déterminisme)<sup>(\*\*)</sup>، ومن ثمة يمكن التنبؤ به، وهذا ما جعل بوبر يعارض ماركس بشدة، وهو بخلاف ماركس يقر بأنّ التاريخ في سيره، وتطوره يتأثر بنمو المعرفة العلمية وأنّ هذا النمو لا يمكن التنبؤ به.<sup>(1)</sup>

وهنا يظهر الأساس الاستيمولوجي لنقد النزعة التاريخانية.

(1) يبنى طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر (منهج العلم، منطق العلم)، الهيئة العامة للكتاب، مصر، (د، ط)، 1989م ص 461.  
 (\*) النبوءة: وهي الفكرة القائلة بأنّ التنبؤ قد يكون له أثر في الحادث المتنبأ به، وترجع هذه الفكرة إلى عهد قديم جداً، فقد جاء في الأفاصيص القديمة أنّ أوديب قتل أباه، ولم يكن قد رآه من قبل، وكان ذلك نتيجة مباشرة للنبوءة التي دفعت أباه إلى نبذه، ولهذا يطلق بوبر اسم الأثر الأوديبّي على تأثير النبوءة في الحادث المتنبأ به، سواء كان هذا التأثير يساعد على وقوع الحادث أو منعه.  
 (كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صبرة، دار المعارف، الإسكندرية، (د، ط)، 1959م، ص 23).

(\*\*) الحتمية (Déterminisme):

أ. بالمعنى الحسي: جملة الشروط الضرورية لتحديد ظاهرة معينة.  
 ب. بمعنى غير صحيح: الحتمية هي الجبرية، وهي مذهب يرى أنّ بعض الحوادث محدّدة مسبقاً من جانب قوة خارجية، ومتعالية على الإرادة، بحيث أنّها ستحدث حتماً، مهما نفل، وبهذا المعنى يُقال أحياناً حتمية خارجية وعندئذٍ توضع مقابل الحتمية الداخلية حيث تتشكل الإرادة من ترابط الأسباب، والمُسببات. (أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج 1، ص 267.268).

صحيح أنّ بوبر وجه انتقادات لماركس، إلاّ أنّ هذا لم يمنع بوبر من تبيان الوجه الحسن لماركس، لكن الملاحظ أنّ نقد بوبر لماركس غلب عليه إظهار عيوب مذهبه أكثر من إظهار محاسنها.

فبوبر في كتابه "The Open Society And its Enemies" يشير إلى أنّ ماركس وقع في أخطاء كثيرة أثناء بناء نظرياته حول (الدولة، الديمقراطية، التاريخانية...).

فمثلاً لما يتحدث بوبر عن الدولة الماركسية يقول: أنا بعيد كل البعد عن الدفاع عن نظرية ماركس في الدولة، فهي نظرية مهمة لكل السياسات بشكل خاص، أمّا موقف ماركس من الديمقراطية فيظهر بالنسبة لي أنّ الديمقراطية ليست مجرد أخطاء، إنّما لها عواقب وخيمة، لكن يجب الاعتراف أنّ وراء تلك النظريات البارة هناك تجارب مخيبة للأمال، فماركس بحسب رأبي فشل في فهم المستقبل الذي رغب أن يتنبأ به.<sup>(1)</sup>

ويواصل بوبر قائلاً أنّ الدولة التي يسعى ماركس إلى بناءها هي جهاز طبقي حيث تقوم الطبقة الحاكمة بممارسة الاستبداد على الطبقات الأخرى، وعليه تصبح الدولة مجرد جزء من الآلات التي تعتمد عليها الطبقة المستبدّة بغيرها من الطبقات، وبذلك فهي تسعى لخلق حكمٍ مهيمٍ مستبدٍ هدفه تحقيق القمع وإطالة أمدّه.<sup>(2)</sup>

(1) Karl Popper, The Open Society And Its Enemies, Broadway house, London Britain, London vol.2, p112.

(2) Ibid. p110.



وفي هذا السياق يواصل بوبر قراءته للماركسية، إذ يشير إلى جانبيين مختلفين، يجب

التمييز بينهما في دراسته لماركس:

الأول هو التاريخانية: فادعاء ماركس بأنّ عالم العلوم الاجتماعية يتوافق، ويتماشى مع المنهج التاريخي، أو التطوري، وخصوصاً مع النبوءة التاريخية، هو إدعاء مضلل في تقدير بوبر، ولهذا السبب يجب رفضه.

أما الثاني فهو النظرية الاقتصادية أو الجدلية المادية: وهذا الإدعاء يقتضي أنّ التنظيم الاجتماعي للبشر يُعدُّ أمراً ملحقاً، وحيوياً، وضروري لجميع الكيانات القابلة للتنظيم، وخصوصاً في تطورها التاريخي، وبحسب بوبر فإنّ هذه الأطروحة تنطوي على جانب كبير من الصحة<sup>(1)</sup>.

أما فيما يخصّ نظرية فائض القيمة في الإنتاج التي جعل لها ماركس دوراً فعّالاً في العلاقات الاقتصادية، فإنّ بوبر يبيّن أنّ هذه النظرية سوف تطرح مشكلة، فمن الواضح أنّ المشتري، والبائع كلاهما يمكنهما تحديد عدد الساعات الضرورية للتصنيع (تصنيع سلعة ما) وحتى ولو تمكنا من ذلك، فلن نستطيعا شرح قانون فائض القيمة، فالمشتري سيقوم ببساطة بشراء ما يستطيع شراءه بأدنى قيمة، والبائع سيقوم ببيع سلعته بأقصى قيمة ممكنة<sup>(2)</sup>.

(1) Karl Popper, The Open Society And Its Enemies, Op. Cit, p99.

(2) Ibid, p163.

ومن أجل شرح قانون فائض القيمة سيكون دورنا هو أن نوضح لماذا لن ينجح المشتري في شراء السلع بأدنى قيمة، ولماذا لن ينجح البائع في بيع سلعته بأعلى قيمة.

فلنفترض أنّ سعر بضاعة ما يفوق قيمته المُعلّنة في السوق، فهذا يعني أنّ الأرباح المفرطة يمكن أن تُحقّق من خلال التصنيع، ممّا سوف يسمح للمصنعين بصناعة هذه البضاعة والمنافسة ستقلل السعر، وفي مقابل ذلك سوف تكون هناك عملية معاكسة تقود إلى زيادة سعر البضاعة، التي تُباع بأقل من قيمتها، وعليه سوف تكون هناك تذبذبات في السعر، وسوف تميل هذه التذبذبات إلى التركيز على قيمة البضائع، وبعبارة أخرى إنّها آلية العرض، والطلب، الذي يدفع قوّة الاقتصاد إلى قانون القيمة.<sup>(1)</sup>

فالماركسية برأي بوبر هي نظرية خاطئة، لأنّ ماركس منذ البداية لم يكن يبحث عن الأصدقاء، بقدر ما كان يبحث عن العدو حتى يقضي عليه، فجعل من الرأسمالية عدواً خطيراً يجب القضاء عليه، فكل الذين يملكون طموحاً أنانياً مثل ماركس غالباً ما يقعون في مثل هذه الأخطاء.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> Karl Popper, The Open Society And Its Enemies, Op. Cit, p163.

<sup>(2)</sup> كارل بوبر، درس القرن العشرين، مصدر سابق، ص74.

ورغم أنّ هدف ماركس من عدائه للرأسماليّة، هو الوصول الحتمي إلى الاشتراكيّة (Socialisme) (\*)، وتحقيق السلام، إلا أنّه هناك فهم آخر من هذه الغاية، إذ أنّ هناك من يكافح لتحقيق الاشتراكية، فقط لخدمة مصالحهم الشخصية، وإذا أنكروا ذلك فهم يكذبون، وينافقون. (1)

ضف إلى ذلك فإنّ إدعاء ماركس الذي يقول أنّه من الممكن البرهنة على النبوءة القائلة بضرورة، وحتمية حدوث الاشتراكيّة، لا مفر من ذلك، فهذا الإدعاء يحمل في طياته خطورة أخلاقية، فعندما يُنخدع شخص بأنّ الاشتراكيّة مُحَقَّقة لا محالة، فإنّه يشعر بأنّه ملزم، ومجبر على النضال في سبيل تحقيق الاشتراكيّة، حتى ولو رأى مدى كذب الشيوعيين على حدّ قول بوبر. (2)

بوبر يشير إلى أنّ نقده لنظرية ماركس التاريخانية المادية يجب أن لا يُفسّر أو يؤول أنّه يفضل مثالية هيغل (Hegel, George wilhelm Friedrich) (1770م - 1831م) (\*) على مادية ماركس، فيأمل أن يكون قد وضح الصراع بين المادية، والمثالية. (3)

(1) كارل بوبر، الحياة كلها حول لمشاكل، تر: بهاء درويش، منشأة المعارف، (الإسكندرية، مصر)، (د، ط)، 1994، ص80.

(\*) الاشتراكية (Socialisme): مصطلح شاع في القرن الثامن عشر على لسان سان سيمون في فرنسا، وروبرت أوين في إنجلترا وأُريدَ به أساساً إخضاع الفرد للمجتمع، وتحقيق عالم اقتصادي، وأخلاقي جديد.

وهي أيضا الاشتراكية العلمية التي قال بها ماركس، وأنجلز، وأُطلقَ عليها إسم الشيوعية، وتتميز من الناحية الاقتصادية بتقرير مبدأ الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، وإلغاء الطبقات، والريح الفردي، والاستغلال، ومن الناحية السياسية بدكتاتورية الطبقة الكادحة ( البروليتاريا)، وإلغاء التفرقة العنصرية، ومن الناحية الثقافية تحرير المرأة، واتساع وسائل التعليم، والثقافة. ( إبراهيم مذكور، مرجع سابق، ص14، 15).

(2) كارل بوبر، الحياة كلها حول لمشاكل، مصدر سابق، ص78.

(3) Karl Popper, The Open Society And Its Enemies , Op. Cit, p102.

(\*) هيغل (Hegel, George wilhelm Friedrich) (1770م - 1831م): جورج فيلهلم فريدريش فيلسوف ألماني مثالي وموضوعي، ويعتبر من أعظم الفلاسفة، له نتاج فكري مهم، من بين مؤلفاته: كتاب ظواهر الروح 1807م، علم المنطق 1812م دائرة معارف العلوم الفلسفية 1817م. ( روزنتال، يودين، مرجع سابق، ص566، 567).

ويضيف بوبر موضحاً سبب نقده للماركسية، أنّ مادية ماركس في التاريخ تعدّ نظرية قيمية لكن لا يجب أن تُؤخذ على محمل الجدّ، فيجب علينا اعتبارها مجرد اقتراح للنظر في الأمور من ناحية علاقتها بالخلفية الاقتصادية.<sup>(1)</sup>

وفي ختام القراءة البوبرية لماركس، يتضح لنا أنّ النظرية الماركسية لم تصمد أمام نقد بوبر لها، فتنبؤات ماركس بمسار التاريخ لم تتحقق، كما أنّه ظلّ العقول النيرة بإمكانية تحقق النبوءة التاريخية، لكن دراسة بوبر لها كشفت عكس ذلك.

(1) Karl Popper, The Open Society And Its Enemies , Op. Cit, p102.



## الفصل الثالث: نقديّة بوبر للتاريخانية

- المبحث الأول: النظريات التاريخية المضادّة للمذهب الطبيعي
- المبحث الثاني: النظريات التاريخية الموافقة للمذهب الطبيعي
- المبحث الثالث: نتيجة عرض الأطروحات

تمهيد:

قبل المضي في هذا البحث، يجب علينا الوقوف عند بعض المحطات، حيث لا يمكن تجاوزها، أو غض النظر عنها، ولتكن محطة الانطلاق في هذا العنصر مع الفترة الحديثة، فلم ينفك فلاسفة العصر الحديث عن الاشتغال على القضايا الفلسفية في ظل المنهج التجريبي، وفكرة الاستقراء<sup>(\*)</sup>، فقد ارتبط مفهوم الاستقراء بمنهج البحث التجريبي، ويمكن وصف هذا الارتباط وكأنه ارتباط بين العلة، ومعلولها، فكان من البديهي على الفلسفة التجريبية أن تهتم بقضايا الاستقراء ومشكلاته، إذ أنّ الاستقراء حضي باهتمام العديد من الفلاسفة، ومن بينهم الفيلسوف فرانسيس بيكون (Francis, Bacon)(1561م-1626م).<sup>(\*\*)</sup>

فبيكون يُعدّ مؤسساً ورائداً للمنهج الاستقرائي، ولعل أهم كتاب له هو: "تقدم المعرفة" إذ يعدّ من أبرز انتاجاته، حيث تقوم فلسفته على قاعدة أساسية؛ تزويد الجنس البشري بالسيطرة على قوى الطبيعة من خلال الاكتشاف والابتكار العلمي.<sup>(1)</sup>

<sup>(\*)</sup> الاستقراء (Induction): أحد أنواع الاستدلال، ومنهج من مناهج الدراسة، والمسائل المتعلقة بنظرية الاستقراء موجودة فعلاً في أعمال أرسطو، ولكنها بدأت تثير انتباهاً خاصاً مع تطور العلم الطبيعي التجريبي في القرنين السابع عشر، والثامن عشر، وقد أسهم كل من فرانسيس بيكون، وجاليليو، ونيوتن، وميل بنصيب كبير في إيضاح مشكلات الاستقراء بوصفه واحداً من أشكال الاستنتاج الاستدلالي. ( روزنتال، يودين، مرجع سابق، ص25).

<sup>(\*\*)</sup> بيكون (Francis, Bacon)(1561م-1626م): مستشار إنجلترا في عهد جاك الأول، وفيلسوف ولد بلندن. ( نقلًا عن ماكس هوركهايمر، مرجع سابق، ص20).

<sup>(1)</sup> برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، مصر، (د، ط)، 1977م، ج3 ص81.

فبيكون يمنح الإنسان ميزة التفرد بفهم الطبيعة، وتفسيرها، لكن هذا لا يصبح ممكناً إلا في

حدود قدراته المعرفية؛ فاليد، والعقل، لا يكفیان وحدهما في قهر الطبيعة، والسيطرة عليها.<sup>(1)</sup>

ولمّا لاحظ بيكون أنّ القياس ليس باستطاعته مجارة الطبيعة في دقتها وقوتها، لجأ إلى

الاستقراء، وسلّم تسليمًا كلياً أنّ الاستقراء الأمل الوحيد في بناء أفكار ثابتة، وتأسيس مبادئ

وأفكار على دعائم تكون أكثر وثوقاً، فاعتمد بيكون على مسلكين، في سبيل بناء أفكار ثابتة

فالمسلك الأول تكون الانطلاقة فيه من الحواس، والجزئيات إلى أعمّ المبادئ، ومن ثمّة تكون هذه

الأخيرة منطلقاً جديداً حتى نصل إلى المبادئ الوسطى، أمّا المسلك الثاني فيُستمدّ من الحواس

والجزئيات بشكل تدريجي مستمر حتى نصل إلى أكثر المبادئ عموميةً، وهذه الطريقة بنظر

بيكون هي الطريقة الصحيحة في بناء الأفكار.<sup>(2)</sup>

حيث حاول بيكون الوصول إلى نوع من الاستقراء يكون متميّزاً عن الاستقراء بالعد

البسيط، ولتوضيح هذا النوع من الاستقراء يقدم راسل (*Bertrand Russell*) (1872م-1970م)

مثالاً على ذلك من خلال الحكاية الرمزية.<sup>(3)</sup>

(1) فرانسيس بيكون، الأورجانون الجديد (إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة)، تر: عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، (ط1) 2013م، ص16.

(2) المرجع نفسه، ص ص21،22.

(3) برتراند راسل، مرجع سابق، ص82.

(\*) راسل (*Bertrand Russell*) (1872م - 1970م): فيلسوف، ورياضي، وكاتب إنجليزي يعدّ من أعظم الفلاسفة، حاز على جائزة نوبل سنة 1950م، وكان ناشطاً بارزاً ضد الحرب، وضد الأمبريالية، أهم أعماله: مبادئ الرياضيات، تاريخ الفلسفة الغربية مشكلات الفلسفة. (مصطفى حسينية، مرجع سابق، ص ص114،115).

إذن الحكاية الرمزية تقول؛ كان على موظف الإحصاء السكاني، أن يحصي أسماء جميع سكان قرية مقاطعة "ويلز"، والبداية كانت مع الأول، وكان اسمه "وليام وليامز" والثاني، والثالث والرابع كانوا يحملون نفس الاسم السابق، فقرر الموظف أن يُوقف عملية الإحصاء، ويسجل جميعهم على أنهم "وليام وويليامز"، إلا أنه أخطأ في ذلك فقد كان أحدهم يدعى "جون جونز" وبالتالي فالنتائج المتوصل إليها من خلال هذا الاستقراء ستؤدي إلى الوقوع في الضلالة.<sup>(1)</sup>

فمشروع بيبكون العلمي كان مركزاً على تأكيد أهمية، وقيمة العلم بغية الوصول إلى الحقيقة التي من خلالها يستطيع الإنسان التحكم في الطبيعة، دون تدخل أي سلطة كانت، وبهذا يتم تحرير العلم من السلطة الدينية، والاعتماد على الاستقراء للوصول إلى الحقيقة العلمية.<sup>(2)</sup>

لكن لا يمكن إخفاء النقد الذي وُجّه لفكرة الاستقراء، من طرف بعض الفلاسفة وعلى رأسهم دفيد هيوم، وكذلك نقد كارل بوبر للاستقراء، الذي أخذ أبعاداً مهمة في فلسفته الاستيمولوجية.

(1) برتراند راسل، مرجع سابق، ص 82.

(2) كريم موسى، فلسفة العلم من العقلانية إلى اللاعقلانية، دار الفرابي، (بيروت، لبنان)، (ط1)، 2012م، ص 36، 37.



## المبحث الأول: النظريات التاريخية المضادة للمذهب الطبيعي

يقيم بوبر مقابلة بين المذهبين التاريخي، والطبيعي حتى يصل إلى المبررات التي تسمح له بتبرير هذا التعارض الحادث بينهما، ولهذا اعتمد على عدة عناصر مهمة علميا، وهذا ما سنعمل على توضيحه.

## 1. التعميم (Généralisation):

المذهب التاريخي يفترض أنّ هناك إمكانية لتطبيق مبدأ التعميم<sup>(\*)</sup>، ونجاحه في العلوم الطبيعية وذلك راجع إلى اطرّاد (Uniformité)<sup>(\*\*)</sup> الحوادث الطبيعية بحيث أن الظروف المتشابهة سوف تؤدي إلى حوادث متشابهة، فالمبدأ التعميمي، هو قوام، وأساس المنهج الفيزيقي<sup>(1)</sup>.

ومن الواضح أنّ الفكرة المتعلقة بالاطرّاد لها صلة بظهور العلوم الحديثة فمع ازدياد ظهور العلوم المختلفة الطبيعية، والفيزيائية تم افتراض وجود اطرّاد في سير الطبيعة، من خلال القيام بعمليات التجربة بشكل ممنهج، فهو يهدف إلى إحداث، أو منع حدوث نتائج بشكل عبثي بل الغرض منه هو التحكم في سير الطبيعة<sup>(2)</sup>.

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 16.

(\*) التعميم (Verallgemeinerung, Généralization, Généralizzazione): عملية يُعترف من خلالها بسمات مشتركة بين عدّة أشياء فردية، وتجمع هذه الأشياء في مفهوم وحيد حيث تشكل هذه السمات مضمون المفهوم. ( لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج 1، ص 461).

(\*\*) اطرّاد (Uniformité): إفتراض أن ما يحدث من الظواهر الطبيعية في المستقبل يطرد مع ما حدث في الماضي، ويحدث في الحاضر إذا إتقنت له الظروف المحيطة بحدوثه. ( مراد وهبة، مرجع سابق، ص ص 73، 74).

(2) ماكس هوركهايمر، مرجع سابق، ص ص 11، 12.

لكن فكرة الاطراد لا يمكن البرهنة عليها علميا بالرغم من جهود المدرسة الوضعية في إثباتها مستعملة الاستقراء، ويمكن أن نأخذ المجتمع البرجوازي مثالا على الاطراد، فلا يمكن فهم المجتمع البرجوازي إذ لم نستند على فكرة أنّ هذا المجتمع له سيطرة على الطبيعة فالمجتمع البرجوازي مساير لتطور التقنيات، والصناعة منذ النشوء. (1)

وفي مقابل ذلك فإنّ المجتمع البرجوازي مسيطر على الطبيعة لكن ليس بالمفهوم الضيق بل حتى داخل المجتمع الواحد هناك أطراف متحركة في أطراف أخرى، وهذا يعني أنّ البرجوازية لا تقوم فقط على اختراع آلات ووسائل جديدة للإنتاج بل تقوم ببسط نفوذها على الآخرين. (2)

لكن السؤال هو: هل سيكون هناك تطابقا تاما بين الماضي، والمستقبل في حالة الأخذ بهذا المبرر في إثبات الاطراد؟

وبخلاف العلوم الطبيعية فإنّ المذهب التاريخي يدّعي أن مبدأ التعميم لا جدوى منه في العلوم الاجتماعية، فالأحداث المتماثلة ينجم عنها نتائج متماثلة في العلوم الطبيعية، وهذا مالا نجده في العلوم الاجتماعية إلاّ في نفس الفترة التاريخية، فالمذهب التاريخي يعتقد عدم وجود إطراد طويل المدى في المجتمع؛ لا يوجد تعميمات للاطرادات الاجتماعية فنتبع طرق التعميم المعمول بها في العلوم الطبيعية، وتطبيقها على علوم الاجتماع يُنتج لنا نظرية خطيرة الأبعاد. (3)

(1) ماكس هوركهايمر، مرجع سابق، ص ص 11، 12.

(2) المرجع نفسه، ص 13.

(3) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص ص 16، 17.

## 2. التجربة (Expérience) والجدة:

## • التجربة:

كما هو معروف أن التجربة(\*) هي الأساس الذي تقوم عليه العلوم الطبيعية، ففي العلوم الطبيعية يتم عزل الظاهرة الفيزيائية بغرض التوصل إلى نتائج متماثلة مرة تلو الأخرى، وهذا ما لا نستطيع فعله في علوم الاجتماع، فبحسب المذهب التاريخي فإن التجربة في العلوم الاجتماعية لا طائل منها.(1)

فالظروف المتماثلة لا تحدث إلا في نفس الفترة التاريخية، ولهذا فلن يكون هناك لأية تجربة نجريها إلا دلالة محدودة، فعزل الظاهرة الاجتماعية صناعيا من شأنه أن يهمل بعض العوامل الاجتماعية، فالتجارب التي تُجرى في علم الاجتماع ليس غرضها تحقيق التقدم في المعرفة، وإنما تحقيق الانتصارات السياسية، وهذه التجارب لا تُطبق بمعزل عن العالم الخارجي بل إن تطبيقها يغيّر من الظروف الاجتماعية، ولهذا يمكن القول أنّ تكرار هذه التجارب في ظروف مماثلة غير ممكن، نتيجة إجرائها في المرة الأولى.(2)

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص18.

(\*) التجربة: لفظة مأخوذة من المصطلح اليوناني *Experientia*، ولها معنيان عند الفلاسفة: أحدهما خاص، والآخر عام فالمعنى العام يقول أن التجربة، هي الاختبار الذي يوسع الفكر ويغنيه، وهي التغيرات النافعة التي تحصل للمملاكات، وهي التقدم العقلي الذي تمنحنا إيّاه الحياة، أمّا المعنى الخاص؛ أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة في شروط معينة يهيئها بنفسه، ويتصرف فيها بإرادته، لكن الفرق بين الملاحظ، والعالم هي أنّ الملاحظ يشاهد الظواهر كما هي في الطبيعة، بينما العالم المُجرب يشاهدها من خلال الظروف التي هيئها بنفسه، بغرض الوصول إلى قانون عام. (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ج1، ص 243،244).

(2) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص19.

## • الجدة:

وفي هذا قال بوبر: >> قلت إنَّ المذهب التاريخي ينكر إمكان تكرار التجارب الاجتماعية في ظروف متماثلة تماماً، لأنَّ الظروف عند إجراء التجربة للمرّة الثانية تكون قد تغيّرت نتيجة لإجرائها في المرّة الأولى.<<، وبنظر بوبر أنّ المجتمع شبيه بالكائن العضوي الذي يملك ذاكرة يحفظ فيها بعضاً من تاريخه.(1)

وعليه فإنَّ الحوادث أو التجارب المتكررة، لا تملك صفة الجدة، وإنّما تصبح لها صفة العادة لأنّها فقدت صفة الجدة بمجرد حصولها للمرّة الثانية، وحتى ولو تكررت ظروف البيئة بحذاويرها فإنَّ هذا التكرار سيقترن بظروف جديدة في داخل الكائن العضوي، لأنَّ المجتمع هو أيضاً كائن عضوي مجرّب، وهو أيضاً له تاريخ، فالتكرار الحقيقي ممتنع في العلوم الاجتماعية، إلا أنّنا يجب أن نتوقع ظهور ظروف جديدة.(2)

ويمكن القول أن الجدة في العلوم الطبيعية هي جدة في الترتيب، والتأليف، على عكس العلوم الاجتماعية فهي شبيهة بالجدة البيولوجية، ذلك لأنّه يستحيل في علم الاجتماع أن تبقى نفس العوامل القديمة في الترتيب الجديد، ويستحيل التكرار، فلا بد من ظهور جدة جوهرية جديدة، فيظهر تفسير اجتماعي جديد مغاير لما سبقه.(3)

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 19.

(2) المصدر نفسه، ص 20.

(3) المصدر نفسه، ص 21.

## 3. المناهج الكمية:

في ظل المقارنة بين تفسير الحوادث في العلوم الطبيعية، وتفسير الحوادث في العلوم الاجتماعية فيتضح لنا أنّ علم الطبيعة يُفسر الأحداث تفسيراً كميّاً، ودقيقاً، ومحكماً، وذلك عن طريق الصيغ الرياضية، بينما علم الاجتماع يفسرها تفسيراً كيفياً من خلال محاولة فهم التطور التاريخي، وهذا التفسير المتبع في العلوم الاجتماعية يعتمد على الميولات والأهداف المتعارضة وقد تُطبق المناهج الكمية (Méthodes Quantitatives) (\*) والرياضية بنجاح في بعض العلوم الاجتماعية، لكن لا مجال للمقارنة بين مناهج العلوم الطبيعية، ومناهج العلوم الاجتماعية ذات الطابع الكيفي، فالفرق هائل بينهما. (1)

فحجّة المذهب التاريخي ضد المناهج الكمية، والرياضية هي: أنّ عالم الاجتماع مهمته الحصول على تفسير علّي للتغيرات التي تعانها على مرّ التاريخ، كالدول، والنظم الاقتصادية وأنواع الحكومات، وذلك بالتعبير الكيفي، وهنا نفهم أنّ العلوم الاجتماعية يغلب عليها الطابع الكيفي، ولذلك فهي تخالف القوانين الفيزيقية. (2)

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 35.

(\*) المناهج الكمية (Méthodes Quantitatives): فالمنهج الكمي هو الطريقة التي يستخدم معها الباحث بيانات كميّة (كالعدد، الحجم، القياس، الوزن)، للوصول إلى نتيجة معينة. (إبراهيم مذكور، مرجع سابق، ص 196).

(2) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 36، 37.

## 4. النزعة الكلية:

يعتقد المذهب التاريخي أنه يجب على العلوم الاجتماعية أن تسير وفقاً للطريقة الكلية، لأن موضوعها هو الجماعات، لكن لا ينبغي أن ننظر إلى تلك الجماعات على أنها مجرد جماعة من الأفراد، فالجماعة هي أكثر من مجرد مجموعة من الأفراد، بل هي أكثر حتى من مجموعة علاقات بين أفرادها، فمن البديهي أن الجماعات تختلف من حيث طابع التأسيس فمثلاً المجموعة (أ) تختلف عن المجموعة (ب) فلكل جماعة تاريخها، وتقاليدها، وشعائرها الخاصة ولكي نستطيع الحصول على دراسة تاريخ الجماعة المراد دراستها، ينبغي علينا أن نفهمها ونفسرها، حتى نستطيع التنبؤ بمستقبلها.<sup>(1)</sup>

فالجماعات تتميز بالطابع الكلي، ولهذا لا يمكن تفسيرها تفسيراً تاماً بأنها مجرد جماعة مؤلفة من أفراد، فالأبنية الاجتماعية هي الأخرى لا يمكن تفسيرها بأنها تاليفات مركبة من أفراد فحسب، ولذلك يصعب علينا تفسيرها تفسيراً دقيقاً، ومحكماً، أما الأبنية الفيزيقية فيلح المذهب التاريخي على أنها مجرد تركيبات من مجموعة أجزاء.<sup>(2)</sup>

ويعتبر الاتجاه الكلي طريقة لا غنى عنها في بيان كيفية تأثر سلوك الكائنات العضوية بتاريخها، وهذا ما يؤكد التشابه بين الكائنات العضوية، والجماعات.<sup>(3)</sup>

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 28.

(2) المصدر نفسه، ص 29.

(3) المصدر نفسه، ص 30.

## المبحث الثاني: النظريات التاريخية الموافقة للمذهب الطبيعي:

قلنا سابقاً أنّ المذهب التاريخي يعارض المذهب الطبيعي، إلا أنّ هذا لا يمنع من وجود عناصر مشتركة بين طرق كل من العلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، فبعض التاريخيين يفترضون أنّ علم الاجتماع فرع من فروع العلوم الطبيعية، إذ يجمع بين الدراسة النظرية، والدراسة الفيزيائية، وهذا يسوقنا إلى أولى العناصر المشتركة بين المذهبين الطبيعي، والتاريخي.

## 1. المشاهدة:

فالقصد من الدراسة النظرية في علم الاجتماع، هو تفسير الحوادث، ومحاولة التنبؤ بها عن طريق القوانين الكلية، أما الدراسة الفيزيائية فهي لتبيّن أهمية التجربة، وأنّ المشاهدة لها دور في قبول، أو رفض النظريات، من خلال تأييد التجربة للقوانين الشمولية أو رفض تلك القوانين.<sup>(1)</sup>

فالمشاهدة تعدّ أساساً من أسس أي علم، لكنّها لم تصل إلى مرتبة التجربة، وبالكلام عن المشاهدة نجد أنّ علم الفلك له حظاً وافراً من المشاهدات، فهو يعتمد عليها، وذلك من خلال عملية التدوين التي يقوم بها الفلكيون، إذ يتم تدوين ما رشح من المشاهدات في سجلات المرصد وهذا الرصد يفضي إلى توثيق تفاصيل الأحداث في تلك السجلات، فيتم تسجيل ذلك الحدث بتاريخه الزمني.<sup>(2)</sup>

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 49.

(2) المصدر نفسه، ص 52.

لكن المشاهدة في علم الفلك تختلف عما هي عليه في علم الاجتماع، فالمشاهدة في علم الاجتماع لا يمكن صياغتها، وبلورتها إلا بشكل تقرير زمني للأحداث السياسية، والاجتماعية وبهذا المعنى فإنّ التاريخ هو أساس علم الاجتماع، فلا يمكن إنكار أهمية التاريخ، ودوره في علم الاجتماع، وباعتبار أنّ التاريخ أساس فيزيقي للعلوم الاجتماعية، فإنّ الفلاسفة التاريخيون ينظرون إلى علم الاجتماع أنّه نسق تحمّه ثنائية (النظر، والتطبيق)، فالجانب التجريبي الأساس فيه هو سجلات الأحداث التاريخية، وغايته هو التنبؤ اعتماداً على التنبؤات واسعة النطاق، أمّا الجانب النظري، هو علم الاجتماع، وهو علم التاريخ النظري بنظر المذهب التاريخي.<sup>(1)</sup>

## 2. طبيعة التنبؤات (prophéties):

يشير بوبر مؤكداً أنّ أصحاب المذهب التاريخي تأثروا بنظرية نيوتن (Newton, Isaac) (1642م - 1727م)<sup>(\*)</sup> التي تفترض أنّه يمكننا التنبؤ بحركة ومواضع الكواكب السيّارة ولذلك سار أصحاب المذهب التاريخي على هذا الإدعاء، مفترضين أنّ العلوم الاجتماعية ليست بعيدة عن مستوى التنبؤ الحاصل في علم الفلك، فهي ليست أدنى منه، لكنهم على يقين تامّ بعدم الوصول إلى دقة التنبؤات الفلكية.<sup>(2)</sup>

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص 50.

(\*) نيوتن (Newton, Isaac) (1642م - 1727م): عالم في الرياضيات، والبصريات، صاحب قانون الجاذبية الكلية، من أهم أعماله: المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية، المختصر في الكرونولوجيا. ( جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص 685).



لكن على العلوم الاجتماعية المحاولة لتحقيق هذه الدقة، بالرغم من استحالة تحققها منطقياً  
فرضاً لو سلمنا بحدوث تنبؤٍ بالثورة في العلوم الاجتماعية، فهذا لا يعني أننا حققنا الدقة المطلوبة  
التي تخصّ تفاصيل الثورة، وزمان حدوثها، ومن هذا يتّضح أنّ الاتجاه التاريخي على دراية تامة  
بعيوب التنبؤات الاجتماعية، ومع ذلك يصرُّ على وجود نبوءات في المجال الاجتماعي، وتلك  
العيوب ترجع أساساً إلى خاصية التعقيد؛ تَعَقُّدِ الحوادث الاجتماعية، وتأثير بعضها في بعضٍ  
وكذلك الألفاظ ذات الطابع الكيفي المستعملة في علم الاجتماع، ومن أمثلة تلك الألفاظ (صدام  
الحضارات)، حيث أنّ الطابع الكيفي يمنح علم الاجتماع ميزة الشمولية.<sup>(1)</sup>

ويقول بوبر: >> فالتنبؤات البعيدة المدى التي يتكافؤ غموضها مع سعة نطاقها، وأهميتها  
مثل هذه التنبؤات أود أن أسميها (التنبؤات الواسعة النطاق) <<، إذ أنّ هذا النوع من التنبؤات  
هو ما يجب على علم الاجتماع بلوغه بحسب المذهب التاريخي، والتنبؤات الواسعة النطاق – أي  
التنبؤات البعيدة المدى ذات النطاق الواسع، تمتاز بالغموض، وعدم الوضوح، لكن يمكن تحقيقها  
في بعض العلوم، فهي ناجحة في المجال الفلكي، كالتنبؤ بالبقع الشمسية من خلال بعض القوانين  
الدورية.<sup>(2)</sup>

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 51.

(2) المصدر نفسه، ص 51.

ومثالا على هذه الدورات نجد الدورات الاقتصادية، ففي القرن التاسع عشر، ظهرت عدّة محاولات في شرح هذا النوع من الدورات، وربطها بأسبابٍ تكون بعيدة عن المجال الاقتصادي بل خارج حتى التاريخ، حيث يفترضون أنّ سبب تلك الدورات الاقتصادية راجع إلى دورة البقع الشمسية التي تحدث عبر تنوعات الطقس مؤثرةً على المحاصيل، وعلى الاقتصاد أيضاً، وعلى خلاف الرأي السابق نجد مؤلفون آخرون يستندون على علم الأرصاد الجوية، وتقلبات الأرض في تفسيرهم لحركة الدورات (1)

فمن الواضح أنّ التنبؤات الواسعة النطاق ممكنة التحقيق، فإذا كان علم الاجتماع يستطيع الوصول إلى تنبؤات بعيدة المدى، فإنّ هذه التنبؤات لا يمكن أن تكون غير تنبؤات واسعة النطاق وبحسب المذهب التاريخي أنّ هذا النوع من التنبؤات هو المطلوب في العلوم الاجتماعية. (2)

عرفنا سابقاً أنّ التنبؤات الواسعة النطاق لها أهميتها في العلوم الاجتماعية، لكن يجب الإشارة أيضاً إلى أنّ هناك نوعين من التنبؤ يمكن التمييز بينهما، وأنّ هناك نتيجة مترتبة عن كل تنبؤ: فنحن قد نتنبأ (أ) بحدوث إعصار شديد، ونتخذ أساليب معينة للوقاية منه، وقد نتنبأ (ب) بأنّ الملجأ الذي يعدّه هؤلاء الناس لوقاية أنفسهم سوف يقاوم الإعصار، إذا ما بُني بطريقة معينة. (3)

(1) كريستوف بوميان، نظام الزمان، تر: بدر الدين عرودكي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، (ط1)، 2009م، ص109.

(2) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص52.

(3) المصدر نفسه، ص57.

فالنوع الأول من التنبؤ نسميه بالنبوءة، وهذا التنبؤ يمكننا من خلاله معرفة الحدث، والقيام بالاستعدادات لمواجهة الحدث، أما الثاني فنطلق عليه اسم التنبؤات التكنولوجية، وهذه التنبؤات تُستعمل في المجال الهندسي، وتسمح لنا باتخاذ خطوات معينة للوصول إلى نتيجة معينة، ولهذا يمكن القول أنّ العلوم التجريبية قادرة على التنبؤات التكنولوجية، لأنها قائمة على التجربة، بينما العلوم الأخرى؛ غير القائمة على التجربة فهي قادرة على النوع الأول من التنبؤ؛ النبوءة.<sup>(1)</sup>

لكن الخلاف بين النبوءة، والتنبؤ التكنولوجي ليس هو نفس الخلاف بين التنبؤات البعيدة المدى، والقصيرة المدى، فالبرغم من أنّ معظم التنبؤات الهندسية تكون قريبة المدى إلا أنّ بعضاً منها يكون بعيد المدى، كالتنبؤ بمدى استمرار عمل آلة من الآلات، وهذا الحال يمكن ملاحظته في التنبؤات الفلكية، فمنها ما هو بعيد أو قريب المدى.<sup>(2)</sup>

حيث يؤكد بوبر أنّ أصحاب المذهب التاريخي يحبذون استخدام النبوءة، ويرفضون أن تكون الهندسة الاجتماعية<sup>(\*)</sup> هي القصد العملي من العلوم الاجتماعية، إلا أنّ فكرة الهندسة الاجتماعية<sup>(\*)</sup> ممكنة التحقق عند بعض التاريخيين كإيقاف التطورات الاجتماعية، أو التحكم فيها.<sup>(3)</sup>

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص58.

(2) المصدر نفسه، ص59.

(3) المصدر نفسه، ص59.

(\*) الهندسة الاجتماعية: هي الغاية العملية من العلوم الاجتماعية، ويعني بها بوبر التخطيط، والتنظيم بغية إيقاف التطورات الاجتماعية أو التحكم فيها أو الإسراع بها. ( المصدر نفسه، ص59).

## 3. القوانين التاريخية:

يدّعي المذهب التاريخي أنّ علم الاجتماع هو علم التاريخ، لكن ليس بالمفهوم التقليدي الذي يجعل من علم التاريخ مجرد سرد للوقائع التاريخية، فحتى يكون التاريخ، وعلم الاجتماع شيئاً واحداً لأبد من إمداد البصر إلى المستقبل، وليس الاكتفاء بالعودة إلى الماضي فحسب، وبهذا التصور يمكن لعلم التاريخ أن يدرس القوى المؤثرة فيه، ودراسة قوانين التطور الاجتماعي، فبنظر أصحاب النزعة التاريخية فإنّ القوانين الاجتماعية هي قوانين صادقة صدقاً كلياً، ومنه ينبغي أن تكون قوانين للصيرورة، والتطور، والتغير. (1)

إذ يجب دراسة تلك القوانين التاريخية بغية اكتشاف جميع الأحداث، والوقائع التي يستعين بها كل من أراد إصلاح النظم الاجتماعية، فكثيراً من النظريات اليوتوبية (Utopique) (\*) التي لا نستطيع تطبيقها تطبيقاً عملياً إلاّ لسبب جهلنا لوقائع حدوثها، حيث يجب علينا الاعتماد على التجربة التاريخية باعتبارها مصدراً من أهمّ المصادر في اكتشاف قوانين التطور التاريخي. (2)

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 60.

(2) المصدر نفسه، ص 61.

(\*) اليوتوبية (Utopique): هي الطريقة القائمة على تمثيل حالة وهمية كأنها متحققة بكيفية ملموسة، إمّا للحكم على ما تضمنته من نتائج، وإمّا لتبيّن مدى فائدة تلك النتائج. ( أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مرجع سابق، ج 2، ص 1518).

## المبحث الثالث: نتيجة عرض الأطروحات:

من خلال عرض كارل بوبر لأطروحات المذهب التاريخي المعارضة، والمؤيدة للمذهب الطبيعي، يحاول فكّ النزاع، والخلاف القائم بين المذهبين (التاريخي، والطبيعي).

ولحلّ الخلاف بين المذهبين فإنّ بوبر يقترح مذهباً يقوم على وحدة المنهج، إذ يفترض بوبر أنّ العلوم سواء كانت طبيعية، أو اجتماعية فهي تستخدم منهجاً واحداً، وهذا لا يعني نفي الفوارق الموجودة بين مناهج العلوم الطبيعية، ومناهج العلوم الاجتماعية، فإنّ وجود مثل هذه الفوارق هو أمر عادي، وواضح، بل تلك الفوارق موجودة حتى بين العلوم الطبيعية، كما توجد بين العلوم الاجتماعية، وفي هذا يتفق بوبر مع ستيوارت ميل.<sup>(1)</sup>

حيث يعترف بوبر أن ميل في صياغة فكرته المتعلقة بالمنهج شبيهة بالفكرة التي جاء بها ماركس، فقد قال ميل: >> إنّ المنهج الذي وصفناه الآن هو المنهج الذي يجب علينا إتباعه في بحثنا... عن قوانين تقدم المجتمع، ومن الآن فصاعداً لن يساعدنا هذا المنهج فقط على أن ننفذ بأبصارنا إلى المستقبل البعيد لتاريخ الجنس البشري الإنساني، بل إنّهُ سوف يعين لنا أيضاً الوسائل الصناعية التي يمكن استخدامها... للإسراع بالتقدم الطبيعي مادام فيه منفعة لنا.<<<sup>(2)</sup>

فمن الواضح أنّ ميل يسعى هو الآخر إلى الوصول إلى منهج يكون متجاوزاً لكل الفوارق الموجودة بين مختلف العلوم، ليس فقط تحقيق التنبؤ بالمستقبل، بل تحقيق التقدم الطبيعي.

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 159.

(2) المصدر نفسه، ص 94.

إذ أنّ المناهج المتبعة في كلا من المجالين الطبيعي، والاجتماعي في أساسها هي واحدة فهذه المناهج ترجع إلى التفسير العلي الاستنباطي، والتنبؤ، والاختبار، وهذا المنهج يسمى بمنهج الفرض<sup>(\*)</sup>، لأنه لا يحقق اليقين المطلق، بل توضع القضايا دائماً على شكل الفروض المؤقتة وبسبب هذا الطابع المؤقت كان أغلب الباحثين في المنهج ينظرون إلى الفروض المؤقتة على أنها ستحلّ محلها نظريات تم إثباتها بدرجة كبيرة من الاحتمال.<sup>(1)</sup>

وهذا الموقف بنظر بوبر المتعلق بالفروض المؤقتة، هو موقف خاطئ قد يفضي إلى جملة من الصعوبات نحن في غنى عنها، وهذا قد يخلق مشكلة لكن لا تقارن بمشكلة التفسير، ومشكلة التنبؤات، والاختبار.<sup>(2)</sup>

فمنهج اختبار الفروض هو منهج واحد دائماً، حيث نختار الفرض الذي يكون قانوناً كلياً ويستوفي جميع الشروط، ونختار قضية قصد التنبؤ بها، ثم نواجه النبا، فإذا كان النبا موافقاً لما رأيناه فهو تأييد للفرض الذي افترضناه، وإذا كان النبا الذي حدث عكس ما تنبأنا به فهو تفنيد للفرض، أو تكذيبه، وتبعاً لهذا التحليل فإنّ الفرق بين التفسير، والتنبؤ، والاختبار لا يكمن في البناء المنطقي، وإنما في التوكيد؛ تأكيد الفرض، أو تكذيبه.<sup>(3)</sup>

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 159.

(\*) المنهج الفرضي: وهو منهج العلم، والنقد، ومنهج المحاولة، والخطأ حيث يتم إقتراح فروض جريئة، وتعرضها لأعنف نقد ممكن، كي نميّز مواطن، ومواقع الخطأ، والصواب. ( يمني طريف الخولي، مرجع سابق، ص 167.)

(2) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 160.

(3) المصدر نفسه، ص 161.

يوصل بوبر حديثه قائلاً أنه باستطاعتنا أن نشرح وحدة المناهج بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، وأن ندافع عنها، من خلال تحليلنا لكلام الأستاذ النمساوي هايك (Friedrich August von Hayek) (1899م – 1992م) في مقاله " التعامل ودراسة المجتمع " فقال: >> إنَّ عالم الطبيعة الذي يريد أن يستعين على فهم مشكلات العلوم الاجتماعية بمثال يستمد من ميدان بحثه، فعليه أن يتخيّل عالماً يستطيع فيه أن يدرك باطن الذرات إدراكاً مباشراً، ولا يمكنه فيه إجراء التجارب على الكتل المادية المؤلفة من هذه الذرات.<<(1)

ومما لاحظناه من خلال قراءتنا لأسطر الفقرة أنّ الأستاذ هايك يؤكد على وجود فوارق بين العلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، إلّا أنه يشير إلى أنّ العالم في المجال الطبيعي يستعين بالعلوم الاجتماعية في بعض الأمور.

واستناداً على الفقرة السابقة يسلم بوبر أنّ بداية الفقرة تشير إلى وجود فوارق بين العلوم الاجتماعية، والعلوم الطبيعية، لكن بقية الفقرة تشير إلى وحدة المنهج، فمنهج العلوم الطبيعية يسير وفقاً لخطوات منظمة من المشاهدات، وصولاً إلى النظريات عن طريق التعميم، من ثمة نبرهن على صدق النظريات أو كذبها بطرق الاستقراء، حيث هذا تأويل للمنهج العلمي بأنّه استنباطي فرضي، انتخابي عن طريق التكذيب، إذ هو وصف لمنهج العلم الطبيعي الذي يطابق الوصف الذي قال به هايك في منهج العلوم الاجتماعية.(2)

(1) كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص165.

(2) المصدر نفسه، ص166.

ويستعين بوبر بفقرة أخرى لهايك التي تقول: >> ... معرفتنا بالمبدأ الذي تحدث بمقتضاه هذه الظواهر لن تساعدنا إلا نادراً، وقد لا تساعدنا أبداً، في التنبؤ الدقيق بما يمكن أن يتمخض عنه أي موقف عيني.<<، وهذا يعني أنّ هايك يستبعد حصول الدقة في الظواهر الاجتماعية لکنه يقرّ بأنّ انعدام الدقة في التنبؤ يمسّ حتى العالم الفيزيقي، فتحقيق الدقة فيه لا يكون إلا من خلال إجراء التجارب، وعزل الظاهرة صناعياً.<sup>(1)</sup>

أمّا فيما يخصّ تطبيق المناهج الكميّة على العلوم الاجتماعية، يمكن تجاوزها بتطبيق المناهج الإحصائية، وذلك يحدث إذا أردنا أن نتخذ من معادلات الاقتصاد الرياضي أساساً نعتمد عليه حتى في التطبيقات الكيفية.<sup>(2)</sup>

إذن بوبر يدعو إلى منهج موحد بين العلوم، وهذا ما يوضّحه قول بوبر: >> فالقول بوحدة المنهج العلمي هو القول الذي دافعت عنه.<<، لكن بوبر يشير إلى أنّه علينا عدم التخلي عن التمييز بين العلوم النظرية، والعلوم التاريخية، إلا أنّ العلوم النظرية تسعى لاكتشاف القوانين الكليّة، بينما العلوم التاريخية تسلّم بتلك القوانين.<sup>(3)</sup>

وأخيراً نستطيع القول أن التقدم العلمي يفرض علينا أن نبحث عن حلول لدراسة مختلف العلوم بطرق موضوعية، ومحكمة، كما فعل كارل بوبر في بحثه عن منهج موحد يستطيع تطبيقه على العلوم الفيزيائية، والعلوم الاجتماعية، للوصول إلى نتائج تكون نوعاً ما دقيقة، ومضبوطة.

(1) كارل بوبر، علم المذهب التاريخي، مصدر سابق، ص 167، 168.

(2) المصدر نفسه، ص 171.

(3) المصدر نفسه، ص 172.





خاتمة

خاتمة:

من المعروف أنّ أصعب الأمور في إعداد المذكرات هي استخلاص نتائج الدراسة المتوصل إليها، إضافة إلى ذلك فهي خطوة مهمة لختام موضوع الدراسة.

الآن وقد أشرفنا على تمام دراستنا يجدر بنا التوقف عند أهم ما استخلصناه، وعلى ضوء ما سبق فإنّ أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للفكر البوبري في نقده للنزعة التاريخانية (Historicisme):

1. لا يمكن أن نتجاهل الأعمال العظيمة التي قدمها كارل بوبر للابستيمولوجيا المعاصرة، فولا جهوده، وإسهاماته القيّمة في سبيل العلم، لما استطاع الباحث المعاصر إعادة بناء كل شيء على أسس معرفية متينة.

2. إنّ النزعة التاريخانية كمصطلح لم ترى النور إلّا في العصر الحديث، لكن ينبغي علينا الإشارة إلى أنّ هناك بذور أولى للتاريخانية على مرّ العصور، لكن ليس بالمفهوم الحديث.

3. نقد بوبر للنزعة التاريخانية لم يتوقف على البعد الابستيمولوجي فحسب، فنحن نلمس في هذا النقد حضور البعد الإيديولوجي، وذلك من خلال قراءة بوبر للماركسية، فتفسير ماركس المادي للتاريخ، عدّه بوبر تفسير تاريخاني قائم على النبوءة التاريخية.

4. مهما تشعبت، واختلفت المواضيع التي قام بوبر بدراستها، إلّا أنّ فكره بقي متماسكا، وهذا ما لاحظناه من خلال دراستنا له، فلا يمكن أبداً أن نستوعب الفكر السياسي لبوبر دون العودة إلى دراساته العلمية.

5. تحليل، ودراسة بوبر للتاريخانية، مرتبط بدراسته للمجتمع، وتغيراته، فبوبر اهتم بالتغير الاجتماعي، وأصرّ على ضرورة الاعتراف بهذا التغير دون محاولة منعه، فكما أنّ المعرفة تنمو، وتتقدم من خلال المحاولة، والخطأ فإنّ المجتمع يخضع لمبدأ التغيّر.
6. نقد بوبر للتاريخانية هو تعليل لليبرالية ضد الشمولية، فإنّ الليبرالية، والشمولية يظهران كنظامين متضادين، من الناحية السياسية، والاقتصادية، والفلسفية.
7. نقد التاريخانية هو نقد للصورة المغلقة للكون القائمة على فكرة الحتمية التي رفضتها العقلانية البوبرية لشموليتها، وتعميمها التعسفي، وهذا ما لاحظناه في مؤلف بوبر " المجتمع المفتوح وأعداؤه".
8. من خلال النقد الذي مارسه بوبر على التاريخانية نستطيع القول أنّه حاول الوصول إلى شيء يوحد بين مناهج العلوم الطبيعية، ومناهج العلوم الاجتماعية عن طريق ما يسمى بوحدة المنهج لفكّ التعارض الذي حصل بين التاريخيين، والطبيعيين.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

باللغة العربية:

1. كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي، تر: عبد الحميد صبرة، دار المعارف، (الإسكندرية مصر)، (د، ط)، 1959م.
2. —، الحياة كلها حلول لمشاكل، تر: بهاء درويش، منشأة المعارف، (الإسكندرية، مصر) (د، ط)، 1994.
3. —، المجتمع المفتوح وأعداؤه، تر: السيد نفادي، دار التنوير، لبنان، (ط1)، 1998م.
4. —، بؤس الأديولوجيا، تر: عبد الحميد صبرة، دار الساقى، (بيروت، لبنان)، (ط1) 1992م.
5. —، درس القرن العشرين، تر: الزواوي بغورة، ولخضر مذبوح، الدار العربية للعلوم الجزائر، (ط1)، (1429هـ - 2008م).
6. —، أسطورة الإطار، تر: يمى طريف الخولي، المجلس الوطني للثقافة، والفنون، والآداب الكويت، (د، ط)، (1424هـ - 2001م).
7. كارل ماركس، رأس المال (نقد الإقتصاد السياسي)، تر: فهد كم نقش، (دار التقدم، موسكو) (د، ط)، 1985م، ج1.

8. كارل ماركس، فريديريك أنجلز، الإيديولوجية الألمانية، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، (دمشق سوريا)، (ط1)، 1976م.

باللغة الأجنبية:

1. Karl Popper, The Open Society And Its Enemies, Broadway house London Britain, London vol.2.

ثانيا: المراجع:

باللغة العربية:

1. برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب مصر، (د، ط)، 1977م، ج3.

2. بوليتزر، جي بيس، موريس كافين، أصول الفلسفة الماركسية (المادة التاريخية)، تع: شعبان بركات، المكتبة العصرية، (صيدا، بيروت)، (د، ط)، (د، س)، ج2.

3. ريزانوف، محاضرات في تاريخ الماركسية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، (بيروت، لبنان) (د، ط)، (د، س).

4. عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، المركز العربي للثقافة، (الدار البيضاء، المغرب)، (ط4) 2005م.

5. فرانسيس بيكون، الأورجانون الجديد (إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة)، تر: عادل مصطفى، دار رؤية، القاهرة، (ط1)، 2013م.

6. كريستوف بوميان، نظام الزمان، تر: بدر الدين عرودكي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان (ط1)، 2009م.
7. كريس هرمان، كيف تعمل الماركسية؟ تر: وحدة الترجمة، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر (ط1)، 2003.
8. ماكس هوركهايمر، بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية، تر: محمد علي اليوسفي، دار الفرابي (بيروت لبنان)، (د، ط)، 2006م.
9. محمد أركون، الفكر الإسلامي (قراءة علمية)، تر: هاشم صالح، (مركز الإنماء القومي المركز الثقافي العربي)، (بيروت، الدار البيضاء)، (ط2)، 1996م.
10. محمد مجدي الجزيري، نقد التنوير عند هيردر، دار الحضارة، (طنطا، المغرب)، (د، ط) 1999م.
11. يمني طريف الخولي، فلسفة كارل بوبر (منهج العلم، منطق العلم)، الهيئة العامة للكتاب مصر، (د، ط)، 1989م.

باللغة الأجنبية:

1. Herbert Marcuse, Studies In Critical Philosophy, Translated By Joris de  
Bres Boston.

الموسوعات والمعاجم:

الموسوعات:

1. أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تع: أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، (بيروت باريس)، (ط2)، 2001م، ج1، ج2، ج3.
2. روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة، (بيروت، لبنان)، (د، ط) (د، س).
3. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات، (بيروت، لبنان)، (ط1) 1984م، ج2.

#### المعاجم:

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع، مصر، (د، ط)، (1403هـ 1983م).
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت، لبنان)، (د، ط)، 1982، ج1، ج2.
3. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة المختصر، دار الطليعة، (بيروت، لبنان)، (ط3)، 2006م.
4. ريمون بودون، فرنسوا بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: سليم حدّاد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ط1)، (1406هـ-1986م).
5. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء، (القاهرة، مصر)، (د، ط)، 2007م.
6. مصطفى حسبيّة، المعجم الفلسفي، دار أسامة (عمان، الأردن)، (ط1)، 2009م.

#### الرسائل الجامعية:

باللغة الأجنبية:



1. Patrick Blanchenay, Les Sciences Sociales dans la philosophie de Karl Popper: la cohérence du système poppérien, institut d'études politiques(IEP), paris, direction Gil Delannoi,2005 (mémoire de maitrise publié).

المقالات:

باللغة الأجنبية:

1. Patrick J. Murphy, Entrepreneurship theory and the poverty of historicism, Journal of Management History, Paul University Chicago Illinois, USA, No. 2 ,2009 Vol. 15.



فهرس المحتويات

الفهرس:

الصفحة	المحتوى
	اهداء.....
	شكر وتقدير.....
أ.ب.ج.د	مقدمة.....
	• الفصل الأول: فصل تمهيدي:
07	• بدايات وأصول التاريخانية
08	1. تاريخ التاريخانية
12	2. الفرق بين التاريخية والتاريخانية
14	• التاريخانية عند كارل بوبر
	• الفصل الثاني: التاريخانية بين ماركس و بوبر
19	• التفسير الماركسي للتاريخ والمجتمع
19	1. التفسير المادي للتاريخ
22	2. تفسير ماركس للمجتمع وصراعاته
27	• القراءة البوبرية لماركس
	• الفصل الثالث: نقديّة بوبر للتاريخانية
37	• النظريات التاريخية المضادّة للمذهب الطبيعي
37	1. التعميم
38	2. التجربة والجدة
40	3. المناهج الكمية
42	4. النزعة الكلية
42	• النظريات التاريخية الموافقة للمذهب الطبيعي
43	1. طبعة المشاهدة
44	2. طبيعة التنبؤات

## فهرس المحتويات

48	3. القوانين التاريخية
49	• نتيجة عرض الأطروحات
54	• خاتمة.....
57	• قائمة المصادر والمراجع.....
63	• الفهرس.....

## ملخص الدراسة

### أ. باللغة العربية:

هذه الدراسة مبنية على إشكالية النقد الإبيستيمولوجي للنزعة التاريخية عند كارل بوبر، غير أنه لا يمكن الاكتفاء بالنقد الإبيستيمولوجي للتاريخية فقط دون الأخذ بعين الاعتبار الجانب الإيديولوجي فنقد بوبر للتاريخية قائم على شقين شقّ إبيستيمولوجي، وشقّ إيديولوجي، فالشقّ الإيديولوجي في نقد التاريخية برز من خلال قراءة بوبر للماركسية، بينما البعد الإبيستيمولوجي فهو يستند على منهجية المقابلة بين نظريات علوم الطبيعة ونظريات علم الاجتماع، فبرأي بوبر أنّ هناك علاقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية فأيّ تغيير أو تطور يحصل في العلوم الطبيعية فالبضرورة هذا التغيير ينطبق على العلوم الاجتماعية، إذ أنّ بوبر يسعى إلى فكّ النزاع، والتعارض القائم بين أصحاب المذهب الطبيعي، وأصحاب المذهب التاريخي من خلال اقتراحه لوحدة المنهج بينهما.

الكلمات المفتاحية: النقد، الإبيستيمولوجيا، التاريخية، الإيديولوجيا.

### ب. باللغة الفرنسية:

Cette étude est basée sur la problématique de la critique épistémologique de l'historicisme chez Karl Popper. On ne peut pas se contenter de la critique épistémologique de l'historicisme sans prendre en considération la partie idéologique, la critique de l'historicisme chez popper se base sur deux volets: le volet épistémologique et le volet idéologique ; Le volet idéologique de la critique historicisme est apparu à travers la lecture de marxisme chez popper alors que le volet épistémologique est fondée sur méthodologie de l'opposition entre les théories des sciences naturelles et les théories des sciences sociales.

D'après Popper, il ya une relation étroite entre les deux théories : s'il ya un changement ou un développement dans les sciences de la nature automatiquement il est suivi d'un développement dans les sciences sociales.

Popper a voulu enlever le différent et l'opposition entre le courant des naturalistes et le courant des historique en proposant un méthode qui les unis.

Mots- Clés : critique, épistémologie, Historicisme, idéologie.